مواقفُ علميةٌ للأئمةِ الأسلافِ

تصنيف

د. حمزة بن فايع إبراهيم عسيري

الجزء (١)

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

تقديم

الحمدُ للّه رب العالمين ، والصلاةُ والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ..

اما بعد :

فلا تزالُ سيرُ الأسلاف ، وتراجمُ الأعلام رياضاً خصيبة ، وحديقةً معشبة لانتثال فوائدها ودررها، مما هو منهجٌ في الطلب، أو عظة في العلم، أو حكمةٌ في المسيرة..! ولذلك كانت مستودعَ فضائل ، ومنارة جواهر ، ومخزون آداب ومآثر.

وقد ربينا على ذلك من أول الطلب بحمد اللهِ، وكنت أتعجبُ ممن يعمل ذلك ولا يرفع بها رأسًا ، وقد حوت ما حوت من الجمال والفخار والسناء ..!

ولذا تعمق معنا ذلك مع مرور الأيام ، فزدت لها تجميعًا وتنظيما ، حتى سيقت فيها مقالات، وشرحت منها عبارات ، وكان أول ما أصدرت منها (تنبيهات الأكابر) فسُر بها كثيرون ، وانتفع بها متحدثون ومعجبون ، ممن يُصغي للدرر ، وتستهويه الحِكم، وتخطفه المعاني والغُرر..!

وها هنا مواقفُ علمية لهم، تُستطاب في العلوم، وتُساق في الآداب ، وتنثر في الشمائل ، بحيث تبيتُ حليةً يتحلاها الطالب، وحلةً

يرتديها النابه، وجوهرةً يمتلكها الراغب ، تنفعه في الحجاج، وتسعفه في المواقف، وتزينه في الحوار والتوجيهات ، فكنت أوردها وأعلق عليها بما يسر الله، من فتح وتوجيه وتنبيه ، حتى تبلغ مبلغها ، وتؤدي فقهها، ونرجو أن تكون نافعةً واقعة في قلوب أهليها ومحبيها ، وقد بلغت (١٠٠) موقفا ، علق عليها بما يناسب ، وهي تربو على هذا العدد، ولكنها انتقيت بقدر الحاجة والمناسبة ، واللهُ ولي التوفيق .

محايل عسير

٨/ ٩/ ١٤٤٢هـ

١/ عاشق المحبرة..!

تمكّـن علمـا، وتضـلّع تحصـيلا، واتسـع فكـرا، وعـلا منزلـة ومكانة،،،! فلم تغره تلك المكانة، أو حملته على الاكتفاء، إذ ينطلق وهو شيخ كبير، ومحدث دوّى ذكره كل مكان، وبات مرجعيـة خصـبة، يؤمـه الطـلاب، ويقصـده الغربـاء، مـع قبـول عجيب، ومحبة رقراقة، ...فيحمل دواة الحبر، ولا يضيق بها، أو يخجل من منظرها، للاعتقاد الدفين، أن لا غنى عن العلم، وأن التـزود منـدوب، والمواصـلة أساسـية، وطـول العمـر لا يسـوغ العزوف أو الكبر،،،، فلا زلنا نتعلم ولو بلغت بِنَا الدنيا مبالغها، وأمّتنا الشهاداتك من كل مكان....!

إنه الإمام أحمد رحمه الله، ومقولته الذائعة الغراء (مع المحبرة إلى المقبرة). أي أن طول العمر ليس حائلا عن العلم، فهو تاجي وملاذي، وأنسي وراحتي، ولا زلت أجمعه وأحصله حتى أوسد في القبر،،،!

فلا قيمة للحياة بلا علم واستزادة، وأن الجد بوابته التعب والمشقة، وحمل الدواة والدفاتر والتقييد على كل حال....

وكما قال المتنبي :

لولا المشقةُ ساد الناس كلهمُ ** الجودُ يفقرُ والإقدام قتالُ !

ومضة/ دواة الحبر دواء الجهل والنسيان، وضياع الأوقات..!

******

٢/ ابن تيمية والاستشفاء العلمي..!

تعتلّ صحته، ويتراجع نشاطه، ويبيت مكبلا بالمرض، فلا يجدي فيه علاج غير العلم، وتقليب الصفحات، والقراءة، ولو خالطها وهن وتعب،،،!

ولكنها سرعان ما تستجلب الراحة النفسية، والسرور الداخلي، الباعث على الانشراح، والمورث للسعادة، ،،!

واعجبا... يمرض بَعضُنَا فيأخذ إجازة عن العلم، وفرصة للاستجمام، ومساحة للخلود، وفترات للنقاهة،،،! وزوارا للاطمئنان، وعلاجات متراكمة...!

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فيرد على طبيبه المحذر له من الاستزادة العلمية، بأن العلم دواؤه، والاطلاع سعادته، والأنس بالكتب والمعرفة شفاء كل بلاء، وعلاج كل سقم..(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)) سورة الرعد.

يقول كما نقله تلميذه العلامة ابن القيم رحمه الله.(.. فقال لي الطبيب : إن مطالعتَك وكلامك في العلم يزيد المرض ، فقلت له: لا أصبر على ذلك ، وأنا أحاكمك إلى علمك .

أليست النفس إذا فرحت وسُرّت وقويت الطبيعة فدفعت المرض؟ فقال : بلى .

فقلت له : فإن نفسي تُسرُّ بالعلم فتقوى به الطبيعة فأجد راحةً .

فقال : هذا خارجٌ عن علاجنا). كتاب روضة المحبين (٧٠)

ومع أنه لا يمل من المطالعة حال الصحة، كما قال واصفوه، فلم يطق تركها حال السقم، بل صارت دواءه وراحته وصفاءه...

والله لو قطعوا رأسي لأهجرها ** لطار نحو حماها في الهوى رأسي

ونستفيد هنا:

- الاستشفاء بالعلم والقراءة .
- أهمية الوقت في حياة أولئك الرعيل .
- الانقطاع للعلم في أشد الظروف.

ومضة/ حينما يستشفي بالقراءة أقوام، يفر منها أقوام..! والله المستعان...

******

٣/ ابن المبارك والسيادة..!

يحتشد الناس له من كل مكان، وتتقطع النعال، وتثور الغبرة، ويُترك الزعيم والخليفة، ابتهاجا بالسيد الحقيقي، والإمام الأجل، والذي لا يملك شراءهم أو إغراءهم أو تهديدهم...

ولكن الله ذللهم له، لعلمٍ جم، وفقه رقراق، وإخلاص نادر، ودعوة فياضة... إنه الحافظ الفذ المتقن عبد الله بن المبارك.. رحمه الله ...

إذا سار عبدالله من مروَ ليلةً ** فقد سار منها نورها وجمالُها

إذا ذُكر الأخبارُ في كل بلدةٍ ** فهم أنجمٌ فيها وأنت هلالُها

لم تتمالك أم ولد للخليفة هارون العباسي، وقد رأت المنظر، من شُرفتها، في مدينة الرقة، وقد انساقت الآلاف إليه بلا طلب، إلا طلب المحبة والإجلال، والخضوع الطوعي للعلماء ومنائر الناس...

فسألت : من هذا ؟! فقالوا :

عالم خراسان قدم الرقة، يُقَالُ له: عبد الله بن المبارك. قالت: (هذا والله الملك، لا ملك هارون الرشيد، الذي لا يجمع الناس إلا بالشرط والأعوان...) وكأنها سارت مثلا، تقال لمن احتشد له الناس بلا كُلفة،،!

نعم ملك عظيم، ومجد شريف، وفخار باهر، كتبه الله له بلا مشقة ولا ترهيب، وبلا شرطة ولا أعوان، وبلا تسلط أو قهر...

وفي الحديث القدسي في صحيح مسلم((إن الله إذا أحب عبدا نادى جِبْرِيل ، إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جِبْرِيل، وينادي في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض))،، نسأل الله تعالى من فضله...

ومضة// قد تشتري كل شيء في الدنيا إلا الحب والقبول، تشترى بالعلم وحسن العمل..!

******

٤/ السُلمي والأربعون ..!

هي ليست يوما ولا شهرا، ولا سنوات معدودات، بل أربعون سنة، يعكف صاحبها على القرآن تدريسا وتجويدا، يقرئه الناس وأبناء المسلمين،،،!

قد عُرف مكانُه، وضُبط موضعه، وتضوّعت رائحته، وبرزت بركته في أرجاء الجامع، وتحدث الناس قاطبة،،،!

إنه الإمام الفذ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله، من أسلم روحه ووجهه للحي القَيُّوم،،،، فلم تشغله نزهة، أو صرفته متعة ، أو احتال عليه مال مزخرف...!

ووجدتُ في القرإن أعظمَ راحة ** ومحاسنًا زادت على الأموالِ

ما بينَ إيمانٍ وطيب سعادةٍ ** وتفكرا في الوعظ والأحوالِ

برنامج يومي، وعَقد نفسي، وهمة عالية، تتكسر عليها الصخور الصم، قد عرفه المسجد والنَّاس، وانتشر عبَق تعليمه كل مكان،،،!

فيتعجب البعض، وينذهل آخرون، فيتساءلون : ما الذي جره، وكيف أجره وثوابه،،،؟!

فيقول (ذاك الذي أقعدني هذا المقعد)... يقصد الحديث النبوي الشريف ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)).

فيا لله ما أجلدَ صبره، وأعلا عزيمته،،،! وكم خرّج من حفاظ، وأنتج من أجيال...!

والآن في زمننا الحالي،، لنتساءل بسرعة،: أين خريجو الحِلق،،؟! وكيف دور حفاظ القرآن،،؟! وما ثمرات المعاهد القرآنية ...؟!

وإن من أعظم وسائل ترسيخ القرآن في حياتنا، الانقطاع التدريسي المخلص فيه، والتفرغ الزمني له، والتربية الدعوية من خلال حلقه ومراحله....!

فمن ينبري لذلك، ويحتسب الأجر الأعظم، والمثوبة الكبرى، ليبني جيلا، ويثبّتَ إيمانا، ويَنعمَ نورا وسرورا....؟!

ومضة /التربية القرآنية غوص في الزمن المديد..!

******

٥/ ابن الجوزي والكنز..!

إنه كنز باهر، وجوهر نادر، ومَربح رفيع القيمة،،،،! ولكنه يختلف عن الكنوز المعروفة، والنفائس المشهورة، إذ لا يفقه كنزيته، أو يدري ثمنيته إلا عقلاء القوم، وحكماء المجتمع، مَن قدسوا العلم، واحترموا المعرفة، وباتت الكتب أنفس المتع والمتاع...!

هذا الإمام الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله، صاحب التصانيف المشهورة، يقول: (... وإذا رأيت كتاباً لم أقرأه، فكأني وقعت على كنز).

الكتب مكانزه العجيبة، والأسفار درره الغالية، تسمو في خاطره بهذا المعنى، يبحثها ويتتبعها، ويجمعها، فما فاته تأسف عليه، فإذا عثر عليه، فقد أصاب كنزا، ووافق دُرا نفيسا،،،! وما ينبغي التفريط فيه، أو تأجيل امتلاكه وقراءته،،، فما تيسر الآن، قد يعسر بعد غد، والحياة فرص كما يقال....!

وقد قيل في قوله تعالى:((وكان تحته كنز لهما)) سورة الكهف .

قال ابن عباس رضي الله عنهما (ما كان الكنز إلا علما) وروي نحوه لمجاهد رحم الله الجميع.

إن تحول الكتب إلى كنوز في الحس الإنساني، يعني التوقير والإتقان، والجد والاحترام، والحفظ والإبداع، وإن جيلا ينظر للكتب هذه النظرة الذهبية السامية، منتهاه التفوق والبروز،

وصناعة ما يتوقع كونه إنجازا حضاريا، وفتحا معرفيا فائقا،، والله الموفق.

ومضة/ صيرورة الكتب كنوزا في حياتنا، نهضة دائمة..!

******

٦/ ابن عقيل والساعات الضائعة ..!

إن سألتَ عن آلامه فهي وقت ضائع، وأحزانه، ساعات مهدرة، ولا يتكدر إلا حين تتهالك الأوقات بلا معنى، وتفنى اللحظات بلا فائدة ،،،! فيضجّ ويضجَر، ويأخذ نفسه بالعزيمة ، ويعلمها الجد، ويروضها بمعالي الأمور، فيصرخ قائلا (إني لا يحل لي أن أضيعَ ساعة من عمري)..!

آمن بفضيلة الوقت، وجلالة الزمان، وشرف الدقائق، وأنها نعمة الله علينا، فالفراغ فرصة للعمار الإيماني والعلمي والأخلاقي، نتعلم حكمة، ونغرس فضيلة، ونحمل درسا وموعظة...!

فكيف الآن وقد أُحرقت الأوقات، واستُسهلت الساعات، وبات بَعضُنَا لا وقت يحترم، ولا ساعة تعظّم، وفي حديث الخمس الغنائم ((اغتنم خمسًا قبل خمس، ومنها : فراغَك قبل شُغلك))

فالعلامة الفذ البارع ابن عقيل الحنبلي رحمه الله، استشعر خطورة الضياع، فحمل نفسه على الاستغلال والاستفادة، وأن تبديد الوقت ليس سيما العلماء، أو حكماء صانوا زمنهم، وهم أحوج إلى كل حسنة، ومسؤولون عند الله تعالى عن كل ساعة، أو دقيقة ، أو لحظة،،! ((أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر))سورة فاطر . وحينما وطن نفسه الرجل الصالح على ذلك، بوركت حياته، وغلَت ساعاته، وطابت صحته، حتى إنه

ليجد وهو في عمر الثمانين نشاطا يضاهي أو أشد من عمر العشرين..! وقد كان رحمه الله من ذوي الهمم العالية، واشتهر له مصنف اسمه (الفنون) بلغ ثمانمائة مجلد، وقال الذهبي إنه أكبر مصنف في الدنيا، ضمنه فوائد وحكما ومناظرات متنوعة طالعه بعض العلماء، ولم يصل منه إلا القليل،،.! فما يقول شبابنا هذه الأيام، أو يصنعه أبناؤنا، وقد تسوهل في الوقت، واستُهلكت الساعات بلا جدوى، أو متجر رابح، أو ثمرة ملموسة، والله المستعان .

ومضة/ استثمار الأوقات طليعة الإنجازات، وعنوان الهمم العاليات..!

******

٧/ سفيان وتصحيح النية..!

قد نهتم بأشكالنا ونهمل بواطنها، ونهذّب جُسومنا، ونهجر قلوبنا، ونعالج ملابسنا، وننسى نياتنا،،! ولكن الإمام سفيان الثوري رحمه الله، يعلمنا درسا هنا، ويقذف في وعينا ضرورة معالجة النيات، وتصحيح المقاصد ، وأنها من أهم المهمات، وأعظم المسالك، وتضييعها مظنة الضياع، والوقيعة في الرياء، وحبوط العمل، عياذا بالله من ذلك، يقول رحمه الله :(ما عالجتُ شيئًا أشدَّ عليّ من نيتي؛ لأنها تتقلب عليّ).

فالنية خطرة، وتقلبها مشكلة، ودورانها اعتلال، والمعالجة تقتضي المجاهدة، ودفع الرياء والانطراح بين يدي الباري تعالى،

وسؤاله الإخلاص، وإكثار عبادة السر، وعدم التعويل على مدائح الناس، قال تعالى:((فاعبد الله مخلصين له الدين ألا لله الدين الخالص)) سورة الزمر .

وبرغم صلاح هؤلاء العظماء، لم يركنوا لصلاحهم، أو يغتروا بعلومهم ، بل عملوا وعلّموا غيرهم سبل المجاهدة، وأن الإخلاص ضياء الأعمال، ومفتاح القبول ولذاذة الطاعات، ومن حُرمه فقد حُرم الخيرَ كله..! وفي الصحيحين ((من سمّع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به)) أخرجاه . والله الموفق

ومضة/ تعاهد النيات فقه مهجور..!

❊❊❊❊❊❊

٨/ الحسن وثـمرة التقوى..!

يُفترض أن في زيادة العلم، زيادة التقوى وانشراح القلب وحسن الاتباع، لأن العلم بوابة الخشية وطريق مستقيم إلى الله تعالى، قال تعالى ((إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ)) سورة البينة .

ولذا كان العلماء وطلبة العلم من أكثر الناس إيمانا وتقوى، لسبب ما يقذفه في قلوبهم من تعظيم شرع الله ومراقبته، بخلاف من يتخذه ذريعة للتلاعب والاسترخاص، قال الحسن رحمه الله : (ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام) . ولكنه حلال مموه، أو فيه شبهة، أو موصل لمحرمات...!

ولذا فإن من ثمارها على طلبة العلم:

- خشية الله وتقواه
- تعظيم شرعه ومحبته .
- التزام النهج والحذر من تتبع الرخص .
- عدم جعل الخلاف ذريعة للترخص الفقهي .
- تحقيق الورع الشرعي الصحيح ، والتباعد عن الشبهات، وقد صح قوله صلى الله عليه وسلم ((فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)).

والتقوى حلية العلماء وطلابهم، الذين إذا ازدادوا علما زادهم إيمانا وخشية، وباعدهم عن الشبهات والرخص الملفقة، لا سيما الناتجة من اجتهادات بعض الفقهاء ونوادرهم، وقد قال الإمام

الاوزاعي رحمه الله (من أخذ بنوادر العلماء خرج عن الإسلام)

لأن مقصده طلب الرخصة وتتبع الزلة بدون ملحظ شرعي، فينتج

عن ذاك رقة الدين وهدم الشريعة، عافانا الله وإياكم من ذلك،

والسلام....

ومضة / الرخصة الشرعية مندوب تتبعها، والرخصة الملفقة مذموم طلبها..!

******

٩/ مالك وقداسة العلماء..!

تتعلّم في مدارس، وتتخرج على مشايخ وأفذاذ، وتحب أصفياء أخيارا، تعتقد فضلهم وطيبتهم،،،!

ولكن لا يعني ذلك المبالغة في الحب، والتجاوز في التقدير، الذي يحملك على التقليد الأعمى، وحمل آرائهم الغريبة، أو فتاويهم الشاذة،،!

وهنا يعلمنا الإمام مالك بن أنس رحمه الله قاعدة منهجية ونقدية، في الاختيار والتنوع المعرفي، وطرح القداسة لذوي الهيئات والأعلام، فيقول (كل يؤخذ من قوله ويُترك، إلا صاحب هذا القبر) عليه الصلاة والسلام.

وأنه متى زل العالم، أو خفي عليه النص لا نقلده، ولا يُتابع في مسالكه، ويبقى له كل احترام وتقدير، ولكن الحق أحب إلينا.

وكما قيل :

ونأخذ المحاسن والفضائلْ ** ونهجر المساوئ والغوائلْ

لذا وجب الاعتدال في الحب، لئلا يدب فيك العمى والصمم، وَكما قالت الأمثال العربية (حبك الشيءَ يُعمي ويصم).

فالغلو في المحبة غلو في المتابعة، ويورث التبعية وحِملان الخطأ، وتحميل الشريعة ما ليس منها، وإلباس العلماء لباس القداسة، وهو المحظور شرعيا وعقليا، إذ أقوال العلماء تبقى أقوالا

شخصية حتى يساندها الدليل الصحيح، وكما قال تعالى ((قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)) سورة البقرة .

ومن روائع حِكم الشعر ولطيفه:

والدعاوى ما لم يُقيموا...عليها بيناتٍ أصحابُها أدعياءُ

وفي مقولة مالك، أن القداسة للنصوص النبوية فقط، وما عداها آراء تحتاج لنصوص مساندة، والله الموفق .

ومضة/ حب العلماء لا يعني حب أقوالهم المجردة من البرهان ..!

❊❊❊❊❊❊

١٠/ ابن دينار ومفتاح التأثير..!

يؤتى العالم من علمه المضطرب، وتبعثر الإتقان، أو ترك العمل، أو مزجه بالعنصرية والتحامل على الناس، أو من تطلعه لزهرةالدنيا والمناصب، ومن ثم لا قيمة لمواعظ ولو طالت، ولا لكتب ولو ذاعت..!

اسمع ما يقول الإمام مالك بن دينار رحمه الله (١٢٧) : (إن العالم إذا لم يعمل بعلمه، زلت موعظته عن القلوب كما يَزل القطرُ عن الصفا) والقطر: المطر، والصفا: الحجر الأملس..!

وفي القرآن العزيز ((أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم)) سورة البقرة .

فأول محطات التأثير والقبول هو المبادرة السلوكية واقتضاء العلم العمل، وتطبيق الشرائع، وإلا فلن يحمل الناس عنك، أو تقع مواعظك منهم كل موقع،! وإذا كان العلماء مجرد ألسنة ناطقة بلا عمل ووعي ومراقبة، فسيستوي معهم آخرون في ذلك، ويشابههم الجهال والمأجورون، وأجهزة التسجيل، ولذلك إنما فاقوا بالعمل وحسن التطبيق المورث للخشية .

ومن ثمرات العمل بالعلم :

١/ الاستجابة للأمر الرباني وتحقيق الخشية .

٢/ تثبيت العلم وترسيخ معانيه .

٣/ أنه علامة الإخلاص والنهج القويم .

٤/ صناعة القدوة والمنهج الجذاب الخصيب .

٥/ تزكية القلب وإشراكه، وما خرج من القلب لا يقع إلا في القلب غالبا .

ومضة/ مواعظ بلا عمل كأجهزة التسجيل الجامدة ..!

******

١٢/ ابن المسيب وشرف الفائدة..!

تهون التضحيات لأجل فائدة نفيسة، وتخضع المتاعب للسنة والقرآن، وتتصاغر الهمم لأجل فرائد رائعة، أو فوائد جامعة، كطلب العلم الشريف، وجمع الأحاديث الحسان، ولقاء الأكابر الأفذاذ، يقول سيد التابعين سعيد بن المسيب رحمه الله (٩٤) : (إِنْ كنت لأسيرُ الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد).

أي عقل أوصلهم إلى ذلك، وأي نفس يحملون،،،، شعت من خلالها هممهم وعزائمهم،،؟! فيسترخص كل تعب دونها، وكل مفازة تسلك من أجلها،،! إنها مكانة العلم في نفوسهم، وعلو هممهم الساطعة بكل معنى شريف، وفضيلة سامية،،!

لـه همـمٌ لا منتهـى لكبارهـا ** وهمتُه الصغرى أجَلَّ من الدهرِ

وفي زماننا الحالي نسافر للعلاج والتجارة والسياحة، وقليل من يسافر للعلم الحقيقي، واكتناز الفوائد ، وما ذاك إلا بسبب هوان العلم في حياتنا، وتعلقنا بالدنيا وقد صح قوله صلى الله عليه وسلم ((الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالما أو متعلما))

والله ولي التوفيق ...

ومضة/ إذا كبُر العلم في حسك، هانت المتاعب والأموال ..!

******

١٣/ الفُضيل وكبير القدر..!

قد نحفظ كثيرا، ونجمع الكتب، ويحوز بَعضُنَا أسفارًا نادرة، وموسوعات عجيبة، ويتفاخر بذلك،،، ولكننا قد نقصّر في العمل بها وتعليمها الناس، وهذه بركة العلم وثمرته، وجوهر حمله والتفاخر به...

يقول الإمام الفُضيل بن عِياض رحمه الله (١٨٧) : (عالمٌ عامل معلم يُدعى كبيراً في ملكوت السماء) .

وقد ساقه الترمذي رحمه الله في جامعه عقب حديث ((إنّ الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملةَ في جحرها ، وحتى الحوت ليصلّون على معلّم الناس الخير)).

واليوم جمهرة غزيرة من الشباب وخريجي الجامعات، تعلموا وفقهوا، ولكنهم قصروا في زكاة هذا العلم، وأداء حقه وواجبه ، قال تعالى ((ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله ..)) سورة فصلت .

فاستيقن أنه لن يرسخ علمك، وتجد بركته، ويرتفع قدرك، ما لم تعمل وتبلغ وتعلّم، وفقك الله وهداك،،،

ومضة / في بلاغ العلم ترسيخ ورسوخ، وعلو قدر، وهناء...!

******

١٤/ الزهري وموضع النجاة ..!

يكثر الاضطراب، وتعم الحيرة، ويخالطنا التشتت،،،! والعلماء أهون من العوام في ذلك، ولكن قد يلامسهم شيء من ذلك، إذا جمعوا بلا تمحيص، أو ادخروا بلا منائر، أو كانت علوما عقلية جدلية، لا جدوى منها، إلا إكلال الروح، وإعياء العقل،،،!

على حد القول المتكلم الكلامي المشهور :

ولم نستفدْ من بحثنا طولَ عمرنا ** سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا ..!

قال الإمام الزهري رحمه الله(١٢٤) : (كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة) رواه الدارمي .

فلا ينفع العلم بلا سنن، ولا يجدي التفقه بلا آثار، ولا تزول الحيرة دون نصوص، تدنيك من الطريق الأقوم، والمسلك الأطيب والأحكم ، فاستمسك بالتراث العزيز، والكنز الثمين .

العلمُ ميراث النبي كذا أتى ** في النص والعلماء هُمُ وراثه

ما خلَّف المختارُ غَيْرَ حديثِه ** فينا فذاك متاعه وأثاثُه..!

والاعتصام بالسنة حفظها واتباعها، وجعلها أساس الاتباع، واللياذ بها عند الاختلاف ((قل إن كُنتُم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)) سورة آل عمران .

ومضة/ السنة وقاية في أزمنة المِحنة ...

******

١٥/ الصديق وفقه الكلام..!

قد يتلذذ العالم والشيخ بحسن حديثه، ويُفتن بسرد الروايات، أو حكاية الأقوال، ولا يشعر بالمتلقين، وظروفهم وأشغالهم، فيسترسل، ويُدخل موضوعا في آخر،،،!

ولذلك عاقبته الوخيمة على المستمع والمجلس،،،! والحكمة تقتضي الترسل ومراعاة الحال والاقتصاد، وعدم التشتيت والإملال،،،! وهنا حكمة لصديق هذه الأمة أبي بكر رضي الله عنه(١٣) :

(إنَّ كثيرَ الكلام يُنسي بعضُه بعضا). فمن مضارها :

- تداخل الموضوعات المورثة للنسيان .

- إملال الناس وجلب الكدر لهم .
- الاستفراد بالحديث وحرمان الآخرين .
- تضييق مساحة الحوار للسائلين والمناقشين .

ولذا يوصى الشيوخ والطلاب بقلة الكلام والتلطف، ومراعاة المصلحة والحاجة، وهذا فقه لا يدركه محبو الكلام...!

والحكمة السيارة تقول (خير الكلام ما قلّ ودلّ) .

ومضة/ كثرة الكلام استفراد وإضرار بالآخرين ..!

******

١٦/ ربيعة ومستودع الفضائل ..!

تغصّ حياتنا الدنيا بفضائل كثيرة، ونفائس باهرة، ويهرول الناس وراءها علّهم يصيبون منها شيئا،،!

ولكن الفضيلة الحقيقية والتي تأتي بجماع الفضائل، ومكنون المواهب والجواهر، هي طلب العلم كما كان ربيعة الرأي (١٣٦) رحمه الله يقول : (العلم وسيلة إلى كل فضيلة) . ((قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) سورة الزمر .

ففيه المجد والرفعة، والثواب والمكانة، والعزة والسمو، والسعادة والبلوغ...

وقد قال القائل :

إنّ الملوك ليحكمونَ على الورى ** وعلى الملوك لتحكمُ العلماءُ

وفي هذا السياق قال الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك وقد شاهد مكانة عطاء رحمه الله، وكيف أرجعه في الصف أمام الناس،،، (يا أبنائي عليكم بتقوى الله والفقه في الدين، فوالله ما ذللتُ في حياتي إلا لهذا العبد). وكان حبشيا دميم الخلقة، ولكن الله رفعه بالعلم وحسن العمل ....

ومضة/ فضائل العلم لا تحصى، ولكن من ينقطع له حتى يصيب جوهره..؟!

******

١٧/ الشعبي وأصول النبوغ ..!

لكل مرتبة سامية شروط، ولكل منصب رفيع مقدمات وأصول، ما لم يحصلها الطالب، فلن يظفر بمطلوبه، أو يحقق مناه،،،!

ومن ذاك العلم الشرعي، وكل صنوف المعرفة المستطابة...؟

قيل للإمام عامر بن شَراحيل الشعبي(١٠٠) رحمه الله : من أين لك كل هذا العلم ؟ فقال: (بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب..)! .

ونفي الاعتماد يعني عصامية النفس وكده وتعبه.

والسير في البلاد: السفر والرحلات العلمية وهي سنة موروثة.

وصبر الحمار أي الطاقة العليا في الصبر، والحمار مضرب المثل في ذلك .

وبكور الغراب، كناية عن التبكير الجاد، والإسراع الآني، وهجر النوم والمستلذات...! وصح في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم ((بارك الله لأمتي في بكورها)).

تمنيتَ أن تمسي فقيهـًا مناظرا ** بغيـر عنـاءٍ فـالجنون فنـونُ!

وكذا هي أصول تحصيل العلم، ومن رام التفوق فيه، ونيل أعلا الدرجات ، وأما من كان محبا بدون شروط المحبة، فلن يبلغ المنتهى أو يحوز المبتغى، والسلام...

ومضة/ العلم سهل ممتنع، ولذة جافة، وثمرة لها شوك...!

******

١٨/ عطاء ولطف الحوار..!

يتكلم ويسرد، ويستدل ويعلو صوته، وينتهب الكلام مُناهبة، لكأننا في سوق،،! واذا أراد أخوه أو قرينه الكلام، قاطعه وقال أعرفه،،،، وذكره فلان،،، وطالعته منذ زمن،،،! وسبقك به علان....!

وخفيت عليه آداب الحوار وأصوله ومحدداته، ومنها كما قال الإمام الفقيه الفذ عطاء بن أبي رَباح (١١٤) رحمه الله :(إن الرجل ليحدّثني بالحديث فأنصت كأني لم أسمعه، وقد سمعتُه قبل أن يولد) .

فَقِيه متواضع، وشيخ الحرم المشهور، يبيت كالتلميذ متعلما، مصغيا، كأن على رأسه الطير، وبرغم اطلاعه المسبق ، وسعة معارفه، لم يجرح شعور أخيه، وأعطاه حقه من الكلام والاستدلال والظهور في المجلس،،،!

تواضع إذا ما نلتَ في الناس رفعةً ** فإنّ رفيعَ القوم من يتواضعُ

وهذا خلق فريد، ما أليقنا به ، وحاجتنا إلى امتثاله والتخلق به،،!!

وأن يشجع يشجع بَعضُنَا بعضا، ونتواضع، وأن لا نحتكر المعلومات، وتقبل بالجسد والأعين، ونبقي للآخرين مجالا وفرصا..!

ومضة/ التغابي العلمي الحواري من شيم العقلاء ..!

******

١٩/ ابن أبي كثير والطالب المترَف..!

تصور لو أن طالبًا كثير النوم، كثير الأكل، دائم الراحة، لا يصبر ولا يتصبر للعلم وطلبه،،.!

فهل سيدركه، أو سيصيب منه أمنياته، طبعا لا،،،!

وهو ما يقرره الإمام يحي ابن أبي كثير الطائي(١٣٢) رحمه الله في درته الحسناء : (لا يُستطاع العلمُ براحة الجسد) !.

فأولى الخطوات : الجد والجلَد، وهجر المتعة والراحة، والتقلل من المباحات، لا الإيغال فيها، لأنه مؤذن باستطابتها وعدم التراجع عنها،،،! لأن من شبّ على شيء شاب عليه، ومن ارتهن للمتع فاتته اللمع،

وما أطيب قول أبي الطيب:

لا يُدرك المجدَ الا سيّد فَطِنٌ ** لما يشق على السادات فعالُ

لولا المشقةُ ساد النَّاسُ كلهمُ ** الجود يفقر والإقدام قتالُ

ومن ثَم تحصل النتائج، وتبزغ الثمار، ومع الضد وهو التكاسل وتتبع خطوات النوم والترف، تقصر الهمة، وتنعدم النتائج ، وتضيع الأوقات، وتفتقد الحياة الطيبة، ! وكل هذه الأمور تتنافى مع العلم،،! لأنه نفيس وحقه البذل واليقظة، وبقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى، والله ولي التوفيق .

ومضة/ الراحة والنوم والترف عوائق دون تحصيل العلم..!

******

٢٠/ الخليل ومعرفة الصواب...!

لقاء الشيوخ والاجتماع بالعلماء في دروسهم يوصل للحق، ويصنع العقلية الناقدة، ويفتق الأذهان، ولكنه لا يتم عبر شيخ واحد فريد، ولو تعلقت به، ورأيت فيه ما تفرق في آخرين،،،!

لأنه في المحصلة عقل واحد، ويشرح اختياره، وقد تخفى عليه جواهر علمية، ومعان نفيسة، وقد يحابي مذهبه وبلده، ومن ثم يوصي العلامة الفذ العبقري الخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٤) رحمه الله طلاب العلم بمبدئه النقدي المنهجي : (لا يعرفُ الرجل خطأَ معلمه حتى يجالسَ غيره).

فنوّع الشيوخ، واستكثِر من فضلائهم، ولا تلتزم واحدا فيلتزم عقلك، ويُغلق تفكيرك، فيتقدم الآخرون، ولا زلت تراوح بين قدميك،،،!

فيفوت الصواب، وينشأ التعصب، ونقع في المحظور ،وإن من أعظم ثمرات العلم بلوغ الحق، وإدراك الصواب، والسلام....!

ومضة/ تنوع أشياخك يثري العقل، ويوسع المعرفة، ويكشف الأخطاء ..!

******

٢١/ البخاري ودواء النسيان..!

يتصور كثير من الطلاب ان علماء السلف مختلفون عنا ذكاء وفهما وبركة وثراء، وأنهم لم يكونوا يعانوا في طلب العلم، أو يجهدون في جمع الدرر والفوائد ، وهذا تصور خاطئ...!

فهذا الامام البخاري صاحب أجل كتاب بعد القران يُسال عن دواء النسيان؟

فيقول: (إدامة النظر) أي في الكتب حفظا ومذاكرة، وترددا وملازمة، فثمة معلومات لا يخترقها الا الدوام والاصرار،

واذا نظرت الى الكتاب ترسخت ❊❊ وانزاح عنك تعثر وذهابُ

((وكان عمله صلى الله عليه وسلم ديمة))، أي مداوما عليه، فالتكرار للمحفوظ مرات يسيرة، بدون عناية واصرار لن يحقق المأمول، او يبلغ المقصود، فوجب التنبه، ومع النظر المستديم

وصايا اخرى :

- قراءة بصوت مسموع ليجتمع النظر والسمع .
- وقلم يُحشي ويخطط .
- تأمل متعمق وحمل على كل حال .
- استشهاد في المجالس اذا حضرت المناسبة، والصلاة بها إن كانت قرآنا .

ومضة/ أول مقدمات النسيان استعجال العلم والتنقل بين الكتب..!

******

٢٢/ وهيب والمسابقة..!

العلمـاء نصـاح ووعـاظ ومفتـون، يشـرحون للنـاس السـبل، ويفتحون لهم الطرق، ويرشدونهم النسالك،،،!

ومن المجدي في دعوتهم وفقههم مبادرتهم العملية، وسباقهم الى الله تعالى، فاذا ينحت الفرصة، ساء الإيثار، وبطل التراخي، وفي هذا يقول الامام وهيب بن الورد رحمه الله: (إن استطعت ألا يسبقك أحد إلى الله فافعل)

عرضت السنة فلا تزهد فيها، أو تؤثر بها احدا، وفي سباقك تاكيد لنصحك، واستعجال للثواب، وحب لمرضاة الله،،،!

وقــد كــره العلمــاء الإيثــار في القــرب والطاعــات وفي القــرآن

((وسارعوا الى مغفرة من ربكم))

فهنا مسارعة طبيعية يتقفاها كل مسلم، ومسارعة حاضرة يلوح ثوابها الباهر كالتي ترتبط بموسم او عمل او مكان او حالة،،،!

❊❊❊❊❊❊

٢٣/ الاوزاعي والإصلاح السني..!

من حماية السنة والطريقة المهدية عدم الرضا بالبدع والخرافة، لا سيما ويتلقفها الجهلة، في ظل تقصير دعوي، وثورة اتصالات عارمة، تلعب بمفاهيم الناس،،،!

ولذلك لا يتسامح مع البدع وقد خرجت عن الصراط، وسميت بدعة، وعدها الناس عبادة، فوجب الإنكار، واستعمال النصيحة بالتي هي أحسن، والغصب لدين الله تعالى،،،! وتركها موذن باستخسانها وخسبانها من الهدي الحسن، وهنا يقول الامام الاوزاعي رحمه الله : (إذا ظهرت البدع ولم ينكرها أهل العلم صارت سنة)

ففيها بيان وظيفة العلماء الإصلاحية ، وأن السنة تحمى بالنشر وسد ثغرات الباطل، وانه ما ينبغي استحسان البدع والمخالفات وفي الصحيحين قال صلى الله عليه وسلم ((من عملا عملا ليس عليه امرنا فهو رد)).

ومضة/ ترك البدع تهوين من شأن السنن..!

******

٢٤/ ابن القيم وجناحا المؤمن..!

دنيا ومخلوق ومصير، ولا تستقيم له بالوجهة الصحيحة إلى الله، ولا تكمل هذه الواجهة إلا بهمة تكشف مدى تطلعه في القربات، وعلم يوسع بصيرته وهدايته... قال رحمه الله:

(لابد للسالك إلى الله : من همة ترقيه، وعلم يبصره ويهديه) همة تجعلك مرتفعًا ، عائفا السفاسف ، كارهًا الضياع ، راغبا في المعالي . وعلم مستنير يوضح الطريق، ويصحح المسالك ، ويحميك المخانق والضلالات .

وللهمة مصادرها المتمثلة في هذي رسول اللهُ وتتبع مواقفه، وكثرة

القربات ، والانتفاع بسيرِ السلف والجادين ، وفقه العيش في الحياة ومصيره . والعلم بطلبه ومجالسة أهله، وحمل النفس على تقفي الفوائد ، وجمع الكتب والتماس المنائر من أهلها علماء ومؤثرين .

❊❊❊❊❊❊

٢٥/ أبو حنيفة والمذهب والدليل...!

برغم اختياراته الفقهية وغزارة اتباعه، وشعوره الداخلي بالحرج، ومذهبه الفقهي المشهور، إلا أنه معظّم للنصوص ، صائن للأدلة، ولديه السعة والتجرد في العودة الحقيقية للنص، متى ثبت وزالت عنه غشاوة الضعف او الدلالة، فيقول كقاعدة منهجية في الطلب والاختيار (اذا صح الحديث فهو مذهبي)

ورويت عن الشافعي بفصها ونصها، وشرحها السبكي في رسالة مشهورة ، وللأئمة عبارات موازية لها في اتباع الدليل وايثاره على المنحى المذهبي،،،!

فيعلمنا ابو حنيفة رحمه الله هنا، ان النص هو الأساس، والتفقه المذهبي اجتهاد، ورأي لا قيمة له ما لم تظهره النصوص ، وآراء العلماء ليست معصومة ولا تضاهي الأدلة ، وكما لخصها بعضهم بقوله(قول العالم يُستدَل له ولا يستدل به)!!

وأن التربية المذهبية بطولها وحشدها يزلزلها نص نبوي صحيح، يجعلك في موضع جديد، وموقف علمي بهيج ،،!

وهي درس في ذم التعصب، وتقديم الأدلة على المذاهب والأشخاص،،، والله الموفق

ومضة/ تتهاوى المذاهب والأشخاص اذا صحت الأحاديث البينات ..!

******

٢٦/ الشافعي وأثر العلوم ..!

لكل علم أثره وعاقبته على صاحبه ومتناوله، وثمراته التي تشاهد وتقتطف بحسنها وروعتها يقول الامام الشَّافِعِي رحمه الله (١٥٠) : (مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ عَظُمَتْ قِيمَتُهُ وَمَنْ تَعَلَّمَ الْفِقْهَ نَبُلَ مِقْدَارُه ، وَمَنْ كَتَبَ الْحَدِيثَ قَوِيَتْ حُجَّتُهُ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْحِسَابَ جَزَلَ رَأْيُهُ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ رَقَّ طَبْعُهُ ، وَمَنْ لَمْ يَصُنْ نَفْسَهُ لَمْ يَنْفَعْهُ عَمَلُهُ) .

فتضمنت الإشارة هنا الى خمسة علوم :

- في تعلم القران تعظم قيمة المرء ويزيد شرفه ((لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون)) سورة الأنبياء .

- ومتعلم الفقه ينبل مقداره ويعرف بحسن جرابه ويلتفت اليه الناس وفي الصحيح ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)).
- وطلاب الحديث تقوى حجتهم، ويبين حضورهم بفضل ما استعصموا به من سنن ساطعة، وحجج قاطعة .((وإن اطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين)). سورة ال عمران .
- وطالب الحساب يجزل رأيه ويصيب ما لا يصيبه الآخرون، من حسن المشورة والاختيار .
- ومتعلم العربية يزداد رقة الطبع، لما فيها من بيان ساحر، وشعر رائق، ومثل سائر، وأخبار نادرة .
- وختم الإمام رحمه الله بحكمة مفيدة معبرة، أن من لم يمنع نفسه من الهوى والفحش، لم ينفعه عمله ، وهي رسالة

بضرورة المحافظة وضبط السلوك، وقد قال عمر رضي الله عنه(من أورد نفسه موارد التهم فلا يلومن إلا نفسه)

والله الموفق،،،!

******

٢٧/ ابن عباس والذل العلمي..!

أول الطلب ذلة، ونهايته عزة، فيذل صاحبه في جمعه ويتواضع، وينكسر لشيوخه خدمة وحرصا، وسؤالا وكلاما، ولينًا وتذللا، حتى يصيب ما عندهم من معارف ودرر، فاذا ما بلغ وانتهى عز به فلا يرخصه للدنيا، وفي هذا يقول الحبر ابن عباس رضي الله عنهما : قال (ذللتُ طالبا فعززتُ مطلوبا).

يصبح بعد ذلك عزيزا مكينا، تواضع لله فرفعه الله، وبات محل تقدير الناس وتوقيرهم،

يعظّم شأنه ويُحترم قوله، وتصان كلمته، ويُحفظ مكانه، ((يرفعِ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) سورة المجادلة .

******

٢٨/ ابن خزيمة والحجة القاطعة..!

إن سالت عن الحجة القاطعة، والقول المعتمد فهو في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد مر هذا المعنى، ولكننا نزيده إيضاحا، ليعلم الطلاب أن النصوص منتهى الاتباع، وعليها المعول والميزان، فيقول الحافظ الجهبد محمد بن خزيمة رحمه الله : (ليس لأحدٍ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قولٌ إذا صح الخبر).

وفيها توارد عباراتهم ومسالكهم في تعظيم النص النبوي، قولا وعملا واتفاقا،

وهو مقتضى القرآن (فما آتاكم الرسول فَخُذُوه وما نَهَاكُم عنه فَانتَهُوا)) سورة الحشر .

فالعبرة في العمل ونبذ آراء العلماء والمشايخ المخالفة، هو صحة الخبر، وحسن الاستدلال به في مظانه، بمعنى اتضاح دلالته على المراد والمقصود .

ويُستفاد من العبارة أن العمدة النص، وأن كلام العلماء معتبر ما لم يرد عن رسول الله شيء

❊❊❊❊❊❊

٢٩/ ابن المبارك وفقه العمل..!

مصادر السنة النبوية واسعة، وتتسع فيها الفضائل والسنن، ولكن خالطها بعض الضعاف والمنكرات، ولربما تلحظ إنسانا يهتم بالسنة وتطبيقها، ولكنه لا يميز او لايبالي بأيها عمل وتسنن، وقد يهجر الثوابت الحسان في الصحاح، ويتعلق بِما لا يصح، وهنا يوجه حسبك الصحاح، وما نص عليه الأئمة ثبوتا وعملا، وكما قال ابن المبارك رحمه الله : (في الصحيح غُنية عن الضعيف)!! فكيف لطلاب العلم أن يتشبثوا بضعاف ويهملوا صحاحا نيرات..؟!

******

٣٠/ أبو دَاوُدَ والشهوة الخفية..!

فُسرت الشهوة الخفية بتفاسير عديدة، يرتكبها صاحبها في غفلة من الناس، ويُخفيها وقد يظهر ضدها، وفسرها الإمام أبو دَاوُدَ في حق العلماء وتصدرهم ومكانتهم العليا، بأنه (حب الرئاسة) فما قتل العلماء أو قلل من مقدارهم سوى المناصب، وتهارش بعضهم على الولايات والمنازل الرفيعة دنيويا،،،! وليست كذلك أخرويا،، فهي مذهبة للوقت، مفسدة للقلب، موحشة للخلق، صارفة عن العلم وتعليمه .

❊❊❊❊❊❊

٣١/ أبنُ العلاء ومقام السابقين..!

يَحقُّ لك أن تراجعَ وتناقش وتنتقد من سبقوك، ولكن في سياقٍ أدبي جم، ولطفٍ بياني رطب، تحفظ به سبقَهم وفضلَهم ومكانتهم، وهنا يقول الحافظ المقرئ أبو عمرو بن العلاء رحمه الله (١٥٤) هـ : (ما نحن فيمن سبق، إلا بقلٍّ بين أصول نخلٍ طوال)!

وما تغني البصل الصغيرة أمام النخيل الطوال،،؟!

حفظوا وصنفوا، وأتقنوا وبرعوا، ولهم فضل الإفادة والبداءة والإبانة . ((أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده)) سورة الأنعام .

وفي توقيرهم حفظ لمقامهم، وتربية الأجيال على ذلك، وصون اللسان ، والاعتراف بفضلهم .

وما أوتي بعض طلاب العلم في العصور المتأخرة إلا من تطاولهم علميًا ، أو تعديهم ادبيا على فضلاء غرسوا وانتجوا واثمروا، وظن أنه يضارعهم أو يدانيهم ..!

وإذا تعقبتَ لخطأ أو زلة، فلا تتناسَ الأدبَ، وحُسن التعقب والترحم عليهم... رحم اللهُ امرءاً عُرف قدر نفسه، ولَم يتجاوز حده ومكانته...!

والله الموفق ....

******

٣٢/ أبن المبارك والاستدامة العلمية..!

ليس في حسِّ العقلاء انتهاءُ العلم بشهادة، أو مرتبة، أو منصب ديني، كلا،،،! بل لايزال أحدنا في العلم ومنائره يجمع ويقرأ، ويحرر ويحفظ،،،!

يقولُ العلامةُ المجاهد المتفنن ابن المبارك رحمه الله: (لا يزال المرء عالما ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم ؛ فقد جهل).

والاكتفاء ..علامة الغرور، أو العزوف، والسيطرة على كل شيء،،! وسينتج عنه ذبول المعلومات، وعدم المراجعة، والله يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم ((وقل رب زدني علما)) سورة طه .

فلا تهجرِ العلم، أو تترك الاطلاع ومجالسة الفضلاء، من يزيدوك علما، أو ينوروك فقهًا ، فالعلمُ فسيح، والعبد ضعيف ، والهمة قاصرة، وإياك والاكتفاء أو الكف بلا سبب، فأنت للعلم والعلم لك، ولَن يزيدَ إيمانُك ، وتقوى بصيرتك، إلا بعلم محفوظ ، أو سنة متبوعة ، قال عز وجل :(وقل رب زدني علما) سورة طه .

❊❊❊❊❊❊

٣٣ / ابن مسعود والنهج المعتدل..!

إنما يُطلَب النهج المعتدل من آثار رسول الله وطريقته في المعتقد والسلوك، وهديه في التوحيد والشريعة ، فلا عبرة لغال مخالف أو جاف مكثر، أو مبتدع مبالغ، فالسنة المعتمد ، وفي هذا يقول الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه: ((اقتصادٌ في سنة خير من اجتهاد في بدعة)).

فلعملٌ قليل سني، خير من اجتهاد طويل، لكنه بدعي وقد قال تعالى ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)) سورة الأحزاب .

ولما أراد معاوية رضي الله عنه أن يستلم الأركان الأربعة في المطاف، وهو خلاف السنة، قال له ابن عباس: لم يستلم رسول الله الا الركنين، فقال: ليس شيء من البيت مهجورا ، فرد عليه بان ذلك السنة وتلا الآية ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)) فرجع معاوية الى الحق والصواب،،،!

وفيه دليل أن العبادات لا تستحسن بالعقول والآراء .

❊❊❊❊❊❊❊

٣٤/ أحمدُ والشباب...!

مرحلةُ الشباب مرحلةٌ ذهبيةٌ مورقة، ولذلك يخاطبُ المسلم بالاهتمام بها والبخل بلحظاتها، ولذلك من كان فارغا فليملأها بالخيرات ، ومن كان ذَا علم وجد، فلينفق مما آتاه الله، وليوظف معالمَ النشاط فيها في التدريس العلمي، والبلاغ الدعوي، والعمل الإصلاحي، قال الإمامُ أحمدُ رحمه الله :

(ما شبهتُ الشبابَ إلا بشيء كان في كمي فسقط)

يشير إلى سرعةِ انقضائها، وضرورة المبادرة باستغلالها، وأن ميدانَ الشباب ميدانُ الجدّ والبذل والتنافس ولذلك قال تعالى :

((إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)) سورة الكهف . وصح

قوله عليه الصلاة والسلام: ((وشبابَك قبل هرمك)) في المغانم الخمس .

قتأمل ما فيه من نشاط وقوة، وحماس وانطلاق ، ومبادرة وتفاعل، واجعلها في طاعة الله دينًا وعلمًا ، واطلاعا ومذاكرة ، وسبقًا ونجاحًا. ومن ضيع شبابه فاته خير كثير ، وتجاوزته فرص متنوعة ، وجاءته الأسقام والأشغال من كل جهة ، وندم ولات ساعة مندم..!

❊❊❊❊❊❊

٣٥/ البزاز وتذليل المنابر..!

يستصعبُ بعضُهم الوقوفَ أمامَ الناس، أو صعود المنابر، ويقول : ما عندي شيء، لست كفلان، ولم أحضر ، غ أتهيب الوقوف، غ الأفكار طارت،،،! وتشتد المشكلة إذا نودي بلا ميعاد ..!

وهنا علاجٌ حقيقي يداوي كل ذلك، وهو ما أفاده أحد الأعلام حكمةً وتجربة وموعظة، وهو الشيخ محمد بن عبد الباقي البزاز رحمه الله يقول: (مَن خدمَ المحابر خدمته المنابر)..!

فمن يوقفُ نفسَه على الكتب قراءةً وبحثا وتسطيرا، وجمعا ومذاكرة، يبيت ذلك المُلهمَ الموسوعي، فما إن يُستدعَى لمناسبة أو موعظة، وإلا وجرابه جاهز، وكنزه ممتلئ، يتحدر بما فتحه الله

عليه، ولا تحرجه المواقف والمضايق لدوام صلته بالكتب والمطالعة .

فاقرأ كل يوم ، وتعلّم كل ساعة، وتزود كل أسبوع ، واجعل العلمَ سميرك، والعلماء جلاسك ، والأسفار خلانك. ودم في الاطلاع والبحث والسؤال ومعارض الكتب، وعش في الكتابة والتقييد والاستنباط والتحليل ، تكن من الراشدين المفلحين.

❊❊❊❊❊❊

٣٦/ ابنُ مسعود ونسيان العلم..!

ينسى العالمُ علمَه لقلة المراجعة، وعدم البلاغ والتسفُّه به، ووضعه في غير أهله، أو بسبب مخالطة الذنوب، كما قال ابنُ مسعود رضي الله عنه :

(إني لأحسبُ الرجلَ ينسى العلم، كان يعلمه ، بالخطيئة يعملها)

.

ومن خطايا العلم: ذنوبُ الخلوات، أو التأكلُ بالعلم ، أو مناقضة العمل العلم، أو المراءة به وفساد النية، ومقارعة الأقران، وكلها موبقات تضر بالعلم وبصاحبه ، ويتفاوت بعضها سوءا وأثرا ،،!

ولا ارتيابَ أنّ آفةَ العلم النسيان، وتقبح إذا كانت لسبب الخطايا، مما يدل على وهاءِ الخشية وضعف التزكية، وأنّ موادَه النيرة لم تلِج القلوب، عافانا الله وإياكم من ذلك...

وإنما تولدت الخطيئة بسبب قلة العمل، والتركيز على المحفوظات والتعالي بالعلم، أو تتبعِ الرخص ، وممارسة السفهاء ، وترك التزكية والمعالجة ، قال تعالى :(قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها) سورة الشمس .

فزك نفسك على الدوام ، وعش في ربانية فريدة ، وتبتل عال، ليحفظك الله، وتسلم الموبقات ، والله المستعان .

******

٣٧/ أبو الدرداء وعلمٌ بلا عمل..!

يُعاتَبُ الجاهلُ على تقصيرِه وعدم اكتراثه بالعلم، ولكن العالم القارئ، ومن وفقه الله لمعالي الحكمة، ومقابس النور، أشد معاتبة وقبحا، فلقد قرأ وحفظ، وطالع واستكثر ، ثم انتهت به همتُه إلى الكسل والتراخي، وفي هذا يقول الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه:

(ويلٌ للذي لا يعلمُ مرةً ، وويل للذي يعلم، ولا يعمل سبعَ مرات).

ويلات متكررة، ووعيد إثرَ وعيد، بسبب تراخيه اللا مقبول، وتقصيره البين، وإهماله الجلي، قال تعالى ((ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشدَّ تثبيتا،،،)) سورة النساء .

فلا أقبحُ من طالب العلم إذا قصر في ذلك ، ونهايته كما قال الله في أهل الكتاب ((مثل الذين حُملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا)) سورة الجمعة .

وفي العمل بالعلم ترسيخٌ له، وزيادة في الإيمان، ونشر للقدوة، وتربية للخلائق ، ونيل للسعادة، وثبات على الطريق، ومراغمة للأعداء والمنافقين .

فحاذر ترك العمل، أو هجران السنن، والفرار من الالتزامات الشرعية، فإنك مسؤول متبوع .

******

٣٨/ الشافعي وعضدُ العلماء..!

قيمةُ العلماء وشرفهم في علمهم وتبليغه للناس، ولكنهم في أحوال محددة ، يحتاجون لإخوانهم دعمًا ومساندةً ومعاضدة، ليتم النشر، ويسهل البلاغ، ويطيب التواصل ، وفي القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام ((قال من أنصاري إلى الله)) سورة آل عمران .

قال الإمامُ الشافعي رحمه الله: (١٥٠):

(ضياع العالم أن يكون بلا إخوان ،وضياع الجاهل قلة عقله، وأضيع منهما من واخى لا عقلَ له).

أي إنما يذهبُ جهدُ العالم وقيمته، إذا انعدم إخوانه وداعموه وناصحوه، **فهو يستفيد منهم :**

- تحويل علمه لعمل مؤسسي وإنتاجي مبارك.
- النصيحة والتسديد وفي الحديث ((الدين النصيحة)) وكرر ذاك ثلاثا .
- مشاورتهم والاستفادة من تجاربهم ((وأمرهم شورى بينهم)) سورة الشورى .
- حمايته ومناصرته ((ولولا رهطك لرجمناك)) سورة هود .

ولذلك ضاع علماء ، حينما قل الداعم والناصح، ويضيع الجاهل لانعدام عقله، وتقبح الحالة إذا صار فضلاء جلاسا للجهلة والتافهين،،،!

وهذه تتمة الحكمة الشافعية رحمه الله، وأجزل مثوبته...!

ومضة/ إخوةُ العالم مصدر دعمه وتمكينه ومناصحته..!

******

٣٩/ ابنُ عيينة والتزودُ الدائم..!

إذا اكتفى العالمُ بعلمه، أو ركنَ إلى راحتهم، أحرجته المجالس، وكشفته الأسئلة، ولذا وجبَ عليه التزودُ من العلم، واستدامةُ المذاكرة، ومتابعة الجديد، وقد قال تعالى ((وقل رب زدني علما)) سورة طه .

قال سفيانُ بن عيينة رحمه الله (١٩٨) هـ :(أحوجُ الناس إلى العلم العلماء، وذلك أن الجهلَ بهم أقبح ،لأنهم غايةُ الناس، وهم يُسألون).

فاستزادتهم من العلم، يحمي شخصياتهم، ويثبِّتُ محفوظاتهم، ويظهر مكانتهم، ويجعلهم محل ثقة الناس .

ولا يليقُ جهلُهم أو نسيانُهم العلم، أو إحالتهم على غيرهم... !

فسيُساء بهم الظن، وتقل هيبتهم في المجتمع، فتعيّن عندها أنهم من أحوجُ الناس إلى العلم، حمايةً للشريعة ، وصيانةً لقدوتهم ، وحفاظًا لمقاديرهم .

فكل شيء قد يُشبع منه إلا العلم والتفقه في الدين ، فهو ينبوع لا يُمل، وبستان لا يزهد فيه .

❊❊❊❊❊❊

٤٠/ الثوري وكيفيةُ حكِّ الرأس..!

العلماءُ السنّيون ، متبعون لأحوالِ رسول الله ، قولا وعملا وتقريرا، مستحضرون دائماً ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)) سورة الأحزاب . ومتفكرون في ((عليكم بسنتي)) ومن شدة حرصهم ، سؤالُهم عن كل أحوال رسول الله، وتعلقهم بها، ومتابعته في كل كبيرة وصغيرة، حتى كما قال سفيانُ الثوري(١٦١) رحمه الله :

(إن استطعتَ أن لا تحُكَّ رأسك إلا بأثر فافعل) .

يعني شدةَ الاتباع، وديمومةَ الموافقة، وحُسنَ الاقتداء، شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع، حتى لو نُقلت طريقةُ حك الشعر، ولبس النعل،

وخلع اللباس، ودخول المنزل... فإننا نتبادر إليها بلا تكاسل أو تردد... قال تعالى ((وإن تطيعوه تهتدوا)) سورة آل عمران .

******

٤١ / ابنُ جبير وهلاكُ الناس..!

ليست الهلكةُ في نقصان الأموال، ولا غلاءُ الأسعار، ولا شحُّ الزروع... ! ولكن الهلكة الحقيقية في اندراس الدين، وسببه غالبا موتُ العلماء وهلاكهم، كما قال سعيد بن جبير رحمه الله(٩٥)هـ :

(هلاكُ الناس إذا هلكت علماؤهم)

لأنَّ في هلاكهم تسلطَ الجهال، وترؤسَ السفهاء ، وفي الحديث :

((حتى إذا لم يُبق عالما اتخذ الناسُ رؤوسا جهالاً، فسُئلوا فأفتوا بغيرِ علم ، فضلّوا وأَضَلُّوا)).

وينتجُ عنه كذلك شيوعُ الشرور والمخاطرُ البدعية والخلقية، وانتشارُ الفساد، وغيابُ السنن، وخمولُ الأخيار ، وغيبةُ الوعي والعلم ، وكل معاني النهوض والتقدم والبيان.. !

ولذلك هلكتهم لا تقاسُ بشيء، مهما كان حجمُه وأثره ، وقد قال بعضهم: (موتُ العالم ثُلمةٌ لا تُسد) .

ومن يجرؤ أن يَسُدَّ مكانَ الصلحاء والمصلحين ، والدعاة المبلغين، والوعاة النافعين . صدَقوا اللهُ فصدَقهم ، وعظّموا شرعه فعظّمهم ، ونشروا دينه فحفظعم ، وأعلا شأنهم..!

فيا طلابَ العلم تداركوهم قبل ذهابهم، وتعلموا منهم قبل وفاتهم، واستفيدوا منهم قبل حلول الثُّلمات، ودورة الصدمات، والله المستعان .

******

٤٢/ ابنُ المبارك ونشرُ العلم..!

تُخرِّجُ الكلياتُ الشرعيةُ آلافَ الطلاب والطالبات، وتتكدسُ بهم المجتمعات، ولكننا حينَ الحاجة لهم ، والبلاغِ المتينِ ونفع الناس لا نجدهم.. ! ومن وجدناه اعتذر... أو قال في شغل.. !

وما شاكله... ويتهربُ كثيرون عن أداء زكاة العلم، وواجب النشر الدعوي والعلمي ((وعلّمكَ ما لم تكن تعلم وكان فضلُ الله عليك عظيما)) سورة النساء .

قال عبدُ اللهِ بن المبارك رحمه الله (لا أعلمُ بعد النبوةِ أفضلَ من نشر العلم)

وإنما يدومُ العلم ، ويبقى الخير بحمل رايةِ النشر والبلاغ ((ومن أحسنُ قولا ممن دعا إلى الله ..)) سورة فصلت .

وصح قوله صلى الله عليه وسلم: ((بلغوا عني ولو آية)).

ومن بلّغ وعَى ونصَح، وأفادَ واستفاد ، وأعذرَ وحذر، وجاهدَ في الله حق جهاده .

وفِي نصح العلماء والدعاة تحجيمُ للشر، وتقليصٌ للبدع، وتضييق على الخرافة ، فكيف تُتركُ وظيفتُهم، أو يُزهدُ في عملهم وفضلهم..؟!

❊❊❊❊❊❊

٤٢/ أحمدُ واقتضاءُ العلمِ العمل ..!

بركةُ العلم في العمل به، والمسارعةُ في تطبيق حروفه ، حرصا عليه، ونيلا للثواب، وتثبيت للمحفوظ ، قال تعالى ((وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)) سورة الحج .

وقال الإمامُ أحمد رحمه الله :(ما كتبتُ حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد عملتُ به ، حتى مرّ بي الحديث : (أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى أبا طيبة الحجام ديناراً) - أصله في البخاري - فاحتجمتُ).

فَلَو أنَّ كلَ طالبِ علم، تعلمَ سنةً أو حكما وبادر إلى تطبيقه، لشعَّ المجتمع بالقدوات، وباتت مواعظنا أكثرَ واقعية وملامسة للناس

، ولانتشرت المعاني الشرعية، وعمَّ الخير الناس ، وحُفظ الدين، وعُرفت السنن والفضائل ..!

وقد أضحينا في عصر ، كثيرٌ علومه، قليلٌ عمله، عظيمٌ كلامه، عزيزٌ بركته، فلنَعِش بالعلم عملًا ، وبالسنن تطبيقا، وبالنهج امتثالا ، ..!

وإلا حُرمنا بركةَ العلم، وذهبت هنا زروعه وثماره ، وبقيت لنا عورته وضرارته ، والله المستعان .

❊❊❊❊❊❊

٤٣/ الزهري والتدرجُ العلمي..!

وهذا من فقهِ الأسلاف الرشيد، إيمانُهم الدائم بالمرحلة العلمية، والتدرج المعلوماتي ، ففي الحفظ حديثٌ وحديثان، وعلى مستوى القراءة يُبدأ بالمختصرات، وللاستيعاب الميسورات قبل المطولات، وما يَصلحُ للكبار لا يصلح للصغار، وهذا من فقهِهم رحمهم الله.

يقول الإمام الزهري رحمه الله(١٢٤)هـ : (من طلبَ العلمَ جملةً فاته جملة، وإنما يُدرك العلمُ حديث وحديثان).

ويخطئُ الطالبُ الذي يعمد لالتهام العلم بالكلية وفي وقت وحيز... ! فلا هو الذي حفظ، ولا الذي التهم وحصل...!

وما أروعَ قولَ القائل :

الْيَـوْمَ شـيءٌ وغـدا مثلـه ** مـن نخـب العلـم التـي تُلـتقط

يحصـلُ المـرءُ بهـا حكمـةً ** وإنمـا السـيلُ اجتمـاع الـنقطْ

وفي التدرج إتقانٌ نادر، وتحبيبٌ خفيف، ومعالجة للملل، وترفق بالنفس ، وتحايلٌ على العلم. ومن لم يتدرج لم يتوهج، ومن استعجل زلّ، ومن التهم لم يعِ ويفهم...!

******

٤٤/ ابن ابي ليلى وإفتاء الصحابة ..!

الصحابةُ الكرامُ رضي الله عنهم، رواةُ الوحي، ونقلةُ الشريعة، وفرسان الإسلام، شهدوا التنزيل، وحفظوا الدليل، ومع ذلك هم دائمو الحذر، قليلو الكلام، لصيقو الورع فيما يتعلق بالإفتاء والتوقيع على الله تعالى ، يقول عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله : (أدركتُ عشرينَ ومائةً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأنصار، ما فيهم من أحد يُسأل عن شيء، إلا ودّ أن أخاه كفاه، ولا يُحدث حديثًا، إلا ودّ أن أخاه كفاه) .

فهم ليسوا كحالنا محبين للكلام، مسارعين في الفتوى، راغبين في التصدر... كلا.. بل أدبٌ وورع ، ووقارٌ وخشية، وهدوء وتمهل (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء) سورة فاطر .

ومن خشيةِ العالم الرباني الشرعي ، تركُ الفتوى إلا لحاجة ، وعدم استعجالها، والإحالة على غيره ..! ويكتفي هو بالتدريس والبلاغ، وفيها الغنيةُ والمنية، والشرفُ والتحف، والله الموفق .

******

٤٥/ ابنُ سيرينَ وتعلمُ الهدي ..!

يعثرُ بعضُ طلابِ العلم حينما يستغرقون في العلم حفظـًا وفهمـًا وجمعـًا للكتب، ويَغفُلونَ عن الأدب والهدي الحسن، المتضـمن لمعـاني العلـم، ومحاسـن الأخـلاق والشـيم، وهـو خـلاف مـنهج السلف وأساسِ تربيتهم.

قال محمـد بـن سـيرين رحمـه الله: (١١٠) هـ : (كـانوا يتعلمـون الهدي، كما يتعلمون العلم).

فالآدابُ تُطلبُ وتتعلم، والأخلاقُ تلتمسُ كما تلتمس الشيوخ والعلوم والآثار ، بل ربما طلبوا الشيوخَ حبًا في السمت والهدي الطيب المبارك ، يقول إبراهيمُ بن حبيب الشهيد (٢٠٣) هـ : قال

لي أبي: "يا بُني إيتِ الفقهاء والعلماء، وتعلّم منهم ، وخُذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإن ذاك أحبُّ الي من كثير من الحديث).

وقال إبراهيم النخعي (٩٦) هـ :

(كنا نأتي مسروقًا فنتعلم من هديه ودلِّه).

فمن يجدّد لنا هذا المنهج السلفي، وهذا الموقف العلمي الرباني...؟! ويكون حرص طلابنا مع جمع العلم، جمع الخلق والسمت الخسن.

لأنه يورثُ الخشية، ويثمرُ العلم، ويباعدُ عن الدنيا وزهراتها .

فلو تمكنت الدنيا من قلوبنا لأهلكتنا ، وأنستنا واجبَ العلم

وحقه ، وقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم:(اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغَ علمنا). وصحّ في الحديث :(السَّمْتُ الْحَسَنُ، وَالتُّؤَدَةُ، وَالِاقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ). والله الموفق .

******

٤٦/ الحسنُ وحليةُ الطالب..!

حليةُ طالب العلم ماديةٌ ومعنوية ، والماديةُ تتمثلُ في محفوظاته ودروسه وكتبه ومذكراته وملابسه ، والمعنوية خُلقُه القويم، وخشوعه وسمته الحسن، بحيث ينعكس علمه عليه، وتجري محفوظاته على سنام جوارحه، فتلمع لموعا يسر الناظرين .

يقولُ الحسن البصري رحمه الله: (١١٠) هـ :

(كان الرجلُ يطلبُ العلم، فلا يلبثُ أن يُرى ذلك في تخشُّعه وهديه ولسانهِ ويده).

وكما لوحظ حفظك المتين، وفهمك السريع، فليُلحظ منك الأدبُ الجم، والوقارُ الجميل، والخشية المحمودة ، قال تعالى ((إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء)) سورة فاطر .

وإذا بـــدوتَ كحـــافظٍ متفـــنن ** فابـــدُ لنـــا بقلائـــد الأخـــلاقِ

فـالخُلْقُ في الشـخص العلـيم مزاهـرٌ ** تربـــو علـــى الشـــارات والأوراقِ

وهذه من بلايا عصرنا حفاظ وقراء، ولكن قد لايرى عليهم، ولا في صلاتهم، ولا في صحبتهم وسفرهم، والله المستعان .

والاشنعُ ظهورُ خلاف ذلك من جدال عريض، وترخص فظيع، وتجاوز وسيع ، دون مراعاة لعلم قد درس، ومتنٍ قد حفظ ، ومشايخ جالسهم وانتفع بهم..! ولكن غاب ذلك النفع، وجفّت الغراس، وتلاشت الآداب ، وغلبتهم الدنيا من كل مكان، ولا حول ولا قوةَ إلا بالله العليّ العظيم ...!

******

٤٧/ مطرف وفقه المفاضلة ..!

كثيرا ما نسمعُ عن جدلية العبادة والعلم، وأيهما أفضلُ ، وما ذاك المقدمُ..؟!

وتشتدُّ الجدليةُ مع صغار الطلاب، ومبتدئي الاستقامة ، وهنا يجيبُ الإمامُ مطرّف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله (٩٥) هـ ، حيث يقول: (فضلُ العلم أحبُّ إليّ من فضل العبادة، وخيرُ دينكم الورع).

والسبب يكمنُ في : أن العلم نفعه شائع متعدٍ، والعبادة محدودة، والعلم وعي، والعبادة قد تختل، والعلم استنارة ، والعبادة قد تتعثر مع الجهل والحماس والتوسع ..!

ولذلك الاستزادة من العلم يورث الذكر والعبادة والنور، وحسن الاتباع ، وعالمٌ عابد، خيرٌ من عابدٍ جاهل ..! والعاقل من يجمع بينهما ، ويجعل من علمه طريقا إلى الخشية ، والمسارعةِ في القربات ، ولكن عن التفاضل، فالعلمُ مرجحٌ ومقدمٌ بلا امتراء ، ففيه ثمار ومحاسن، لا تنتجها العبادة الصماء ، **والله الموفق .**

******

٤٨/ ابنُ عباس والأمانُ من الضلال..!

نخافُ الفتن، ونخشى الضلال، وبين أيدينا العاصمُ منهما، والقاضي على آثارها، والمورث للسعادة والاطمئنان .

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما(٦٨)هـ :

(تكفَّل اللهُ لمن قرأ القرآن ، وعمل بما فيه ، أن لا يَضلَ في الدنيا، ولا يشقَى في الآخرة) .

يشير إلى قوله تعالى : ((فإما يأتينكم مني هدىً فمن تبعَ هداي فلا يَضل ولا يشقَى)) سورة طه .

فهو هدى ، دربُه السلامة، والأمان من كل شقاء وضلالة . فمن قرأه وعمل به، استرشدَ واستنار، ونجا واستطال، ولم تُصبه

البوائق ، أو تَنَله الجوائح . ففي القرآن قرارٌ متين، وثبات ثمين، وهداية غالية، لا تائهة ولا خافية ..!

ولذا تعين لمن وعاه وعرفَ قدره، أن لا يضيعَ ورده، ولا يؤخر فضله، أو يدخر زاده، بل يسارع فيه مسارعة الضمآن، ويهتبله اهتبال السرعان ، ويبادره مبادرةَ الهيمان .. ! وفي القرآن عزه المنشود، وذكره المحمود ، ومجده المشكور .. قال تعالى :

(وإنه لذكرٌ لك ولقومك وسوف تسألون) سورة الزخرف .

******

٤٩/ ابنُ عساكر واللحومُ المسمومة..!

كـلُّ لحـومِ أهـل الإسـلام مسـمومة، محرمـةُ الطعـن والهتـك والاستطالة، وأشدُّها حرمةً، لحومُ العلماء الربانيين ، الـذين قـال اللهُ فيهم ((إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء)) سورة فاطر .

وهم ((إذا تتلى عليهم آياتح الرحمن خروا سجدا وبكيا)) سورة مريم . وفي هذا السياق يقول العلامة المؤرخ ابنُ عساكر رحمه الله (٥٧١) هـ ، في مقولة مشهورة :

(لحومُ العلماء مسمومة، وعادةُ الطعن بهم معلومة، ومن أطلق لسانه على العلماء بالثلبْ، بلاه الله قبل موته ، بموتِ القلب).

وإنما سُمِّمت لصلاحهم ، فمَن وقع فيهم فلا يأمن النكسة، وحلول البلاء والغفلة .

والمعنيُّ هنا من صلُح منهم وطاب، وأفلح وأناب، وكانت أخلاقه قبل علمه، وآثارُه تسبق فقهه، يشع منه النور، ويجلو الاقتداء، وتسفرُ الهداية .

وكيف يرضى طالبُ علمٍ أن يفتتحَ علمَه بالوقيعة في أعراض العلماء، أو تزينَ له نفسُه ثلبَهم، أو هواه أن يتطاول عليهم..؟!

وكل من جعل ذلك ديدنه حُرم بركة العلم، وأوتي الجدل، وفاتته الحياة الطيبة الرغيبة، والله المستعان .

******

٥٠/ ابنُ القيم وبلوغ النعيم..!

لذائذُ الحياة لا تُدرك بالراحة، فضلا عن لذائذ الآخرة من العلم والنبوغ فيه، وبلوغ معالي الدرجات ، وحتى التجار ومن ينصب للدنيا يعترف بما قاله الإمامُ ابن القيم رحمه الله(٧٥١)هـ : (قد أجمع عقلاء كل أمة ، على أن النعيمَ لا يُدرك بالنعيم، وأن مَن آثر الراحة، فاتته الراحة، وأن بحسب ركوب الأهوال، واحتمال المشاق ، تكونُ الفرحة واللذة).

فمن طلب نعيمَ الأشياء بذل له النفيس والعظيم، وسلك له الطريق العقيم، لعلمه أنَّ العاقبةَ حميدة، والثمرةَ كبيرة، والنهايةَ لا تقدر بثمن، **وما أحلا قول بعضهم** :

تمنيت أن تمسي فقيها مناظرا ** بغير عناءٍ فالجنون فنونُ

وليس اكتسابُ المال دون مشقةٍ ** تلقيتَهـا فـالعلم كيـف يَكُـونُ ؟!

فالعلمُ إنما يكون ويتكون من همة عالية، وعزيمة حارقة، تأكل الكتب، وتلتهم الكسل، وتسحق التواني ، وتجاهد بلا هوادة، وتتحمل بلا شكوى ..!

بصرتَ بالراحة الكبرى فلم ترها...تنالُ إلا على جسر من التعبِ

فاتعب للعلم لترتاح، وتبلغ المراد، وتصب السعادة، وتنل الحياة الطيبة المريحة ، فالنعيم لا يُنال بالتنعم ، والجِنان لا تبلغُ بالسرحان ، والمعالي لا توصلُ بالأماني ، قال تعالى :(خذوا ما اتيناكم بقوة) سورة البقرة . وقال ليحي عليه السلام :(يا يحي خذ الكتَاب بقوة) سورة مريم . **والله الموفق..**

******

٥١/ النوويُ وفُرصُ الحذاق..!

تكمنُ فائدةُ الشيوخِ الحذاق في ندرتهم وعظم ما لديهم ، وبُعدهم أحيانا عن الطلبة، وقلة ظهورهم، فإذا ما ظفر بهم الطالب في مناسبةٍ أو حج أو سفر، فليتشبث بهم، وليغتنم تلك اللحظات الذهبية، فقد لا تتكرر، فالحياةُ فرص كما يقال، وقد قال الإمامُ أبو زكريا النووي رحمه الله (٦٧٦) : (مذاكرةُ حاذقٍ في الفن ساعة، أنفعُ من المطالعة والحفظ ساعاتٍ ، بل أياماً).

والسبب:

- أن الشيخَ الحاذق ، يختصرُ العلم اختصارا، وتفيد من ذكائه وخبرته .

- وعطاياه العلمية أشبه ما تكون بالزبد النادرة ، والشهد المصفى الرائق.
- وما يحويه يندر تيسره في الكتب بسهولة .
- وأن الساعة معه تورث من النشاط والحيوية ، والقبول وحسن التلقي ما لا يتيسر في سواها .
- والمجالسة فرصة السؤال والتبين والتثبت ومراجعة كل ما يشكل .
- وبقدر إخلاصه وخشوعه يبارك في المجلس ، ويتعلم التلميذ من المعاني التربوية ما لا يجده في كتاب . ولذلك تحدث أعلامنا عن أثر ذلك في حياتهم وتوجهاتهم، وكيف

أنَّ فوزهم بحذاق قلائل ، أورثهم ما أورثهم من كنوز نادرة، وفتوحات غالية، عرفت من كتب السير والتراجم .

فلا تزهدنَّ في علماء واجهتم في مناسبة، أو لقيتهم في سفرة أو فرصة، وخذ ما لديهم من زبد ودرر ، فإنك قد لا تجدها في كتب مسطورة ، ولا مصنفات محفوظة... والسلام...!

❊❊❊❊❊❊

٥٢/ أبو الحسنِ والعالمُ المُتهتّك ..!

لا يعني العلمُ والتمكنُ فيه ، الوقيعةَ في الناس -ولو كانت باسم الردود العلمية- ، ولا الجسارةَ على الدنيا، أو الاتجارَ بدين الله، وتحليلَ ما حرم الله، ثم تسويق ذلك ، قال تعالى ((واتلُ عليهم نبأ الذي آتَيْنَاه آيَاتِنَا فَانسَلَخ منها))

وقال علي رضي الله عنه(٤٠)هـ : ((قصَمَ ظهري رجلان: عالمٌ متهتك وجاهلٌ متنسك))، فالمتهتكُ من يجاهرُ بالمعاصي، ومع مجاهرته يدافعُ عنها بكل وقاحة، وقد نُزع من وجهه جلبابُ الحياء، والحياء لا يأتي إلا بخير، ومن انسلاخهِ تتبعهُ رخص

المذاهب ، وتنقلهُ من مذهبٍ لآخر، بحجة الخلاف ويسر الدين، وليس غايته إلا تسويغَ المحرم، وتجاوزَ المحظور ..!

والعالمُ المتهتك يُجرّئ الناسَ على الحرام، ويفتحُ أبواب الفساد، ويُضعفُ من شأن الدين ، بل يشوهه في قلوب الناس ..!ويجعله مطيةً لكل ذي هوى ومسلك، ومن يدفع أكثر ، ويجود بلا حسبان..! متناسيا حقوقَ العلم وملتزماته ، التي تثقل الفؤاد ، وتهممُ الروح، وتجعلها من المخبتين الخائفين... قال تعالى :(إنا كنا قبلُ في أهلنا مشفقين) سورة الذاريات .

******

٥٣/ ابنُ عيينة ومغارم العلم..!

بِرُغم مكاسبِ العلم وثمراته العائدة، إلا أن له تبعاتٍ، ويأكل المال ابتداءً، سفرا ، وكتبا ، وجمعا، ورعاية وتذليلا...!

وتكاثرت مقالات الأئمة على ذلك، ومنها ما قاله المحدث الكبير سفيان بن عيينة رحمه الله(١٩٨) هـ :

(من طلبَ الحديثَ أفلس، بعتُ طَستَ أمي بسبعةِ دنانير).

لأنه سيسافرُ ويجمعُ الكتب، ويتنقل من مكان لآخر ، ويشتري مستلزمات العلوم، ويذلل مصاعبه، ومثل ذلك يحتاجُ إلى مالٍ ودراهم، وتضحيات ومكانز...! ولذلك يفتقرُ بعضهم، وينصبُ

آخرون ، ويفلس فئام، حتى إن بعضهم ليبيع متاعه، أو ملابسه، أو طسته وعاءه كما حصل لسفيان رحمه الله .

وفي الخبرِ دليلٌ على عظمة العلم في نفوسِهم، وأنه أعلا من المالِ وأرقى ، وأجلُّ ما اكتُسب واستغلى .

فلا ضيرَ أن تُجمعَ له الأموال ، وتُحصدَ له الثروات، لأن شرَفه عظيم، ومنتهاه عالٍ، ونتيجته تمكينٌ ورفعة وانتصار ..! (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولوا الألباب) سورة الزمر .

******

٥٤/ مالك ولا أدري..!

أي تعلّم قولِها وانتهاجِها بكل لطفٍ وتواضع ، وتربيةِ النفس على الهضم والانكسار ، لسعة العلم واختلاف محيطاته..! وأنَّ العالمَ مهما علَت منزلته ، وتغازرت محفوظاتُه ، فيوجد علومٌ لا يُحاطُ بها، والمرءُ ينسى ويتلعثم..!

يقول الشافعي رحمه اللهُ (:(إني شهدتُ مالكا، وقد سئل عن ثمانٍ وأربعينَ مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها : لا أدري).

فهذا مالكٌ صاحبُ الموطأ ، تواطأت نفسه للاعتذار، والاعتراف بالقصور، وأن العلم بحرٌ لا ساحل له، والفقه مروجٌ وبروج لا يطاقُ حصرها...!

ولا أدري درايـــةُ كـــلِّ فـــذٍ ** وعـــذرٌ مـــن مقارعـــةِ الخطـــوبِ

وليس من الحكمة والسداد أن تجيبَ على كل شيءٍ ، أو تتصدرَ المسائل ، أو تنافس الأكابر ..!

ولعل في التمهل والترسل زيادةُ بحث ونظر، وفضل تأمل وعناية ، وإعذار للنفس من المهاجمة والاستعجال ...!

ودرس يتعلمه الأجيال كما تعلمه الشافعي من شيخه مالك، فأزجاه تواضعا نادرًا ، وخلقًا باذخًا ، قلَّ من تمسك به..! وبعضُنا يخجلُ من قول ذلك، ويعتقدُ أنه مذلةٌ وهزيمة، ونقصان وفشيلة.

وأن الاعتذار عن المعرفة ليس ذلا ولا نقصا ، بل اعتراف وتواضع، وبحث وخشية ، لأنك تهيبت الحق ، وراقبت الباري، وتوقيت الزلل والعثرة ... قال تعالى :(ولا تقفُ ما ليس لك به علمٌ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) سورة الإسراء.

******

٥٥/ ابن القيم والجمال العلمي..!

يظنُّ كثيرونَ أن جمالَ المرء في مال وفير، أو ملابس فاخرة، أو سيارة باذخة، وينسون جمالا خفيا مستترا في علمٍ جم، أو فقه رصين، أو ثقافة واسعة، تتطاير حتى تغطي جهالة الإنسان، فيسمو ويتصاعد مجده، ويؤمه الناس من كل مكان... ! وإذا تكلم أو وعظ، أو ألفَ، جذب الناس بجمالٍ رائق، وصورةٍ قشيبة، ومنظرٍ عجيب...!

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله(٧٥١)هـ :

(لو صوّر العلم صورةً ، لكان أجملَ من الشمسِ والقمر) .

وهذا هو الجمال العلمي الذي قصده الأئمة، وأيضا ما يتضمنه من حلاوةٍ وبهجة وارتقاء، والذي لو صُور لفاق القمرَ في لمعانه، والشمس في توهجها . فلا أجملَ من العلم صورةً، ولا أبهى من الفقه حُسنا ، ولا أطيب من الكتب منظرًا ، فاستكثر من جمالها، واقطف من عِطرها، واجنِ من ثمراتها، فقد لا تتكرر، أو تعاود مجيئها ، **والله المستعان .**

******

٥٦/ ابن المبارك والمالُ الاستراتيجي..!

جميلٌ أن نُطعمَ الفقراء، ونتعاهدَ المساكين، والأجملُ هنا أيضًا، أن نُحسنَ وضع المال في نصابه، ونؤسس به عملا دعويا استراتيجيا، كما صنع الإمامُ الفذ عبدالله ابنُ المبارك رحمه الله (١٨١) هـ، فهو لم بتصدق لمجرد الصدقة وحاجة الفقراء، بل كفَّ بها أيدي فضلاء ، وأعانهم على نشر العلم وبلاغ الدعوة، فقد عوتب في نقل ماله لبلد أخرى، فقال:

(إني أعرفُ مكانَ قوم لهم فضلٌ وصدق ، طلبوا الحديث ، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم، احتاجوا ، فإن تركناهم ضاع

علمهم ، وإن أعناهم بثّوا العلم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم).

وهذا هو الفقه الذي قد يتجاهله بعضُ أسخياء الجاه والمال ، وينسون أناسًا لو قضيت حوائجهم، لأنتجوا غرسًا وبذلا وعطاءً، كما قال الإمام رحمه الله .

وكم في العلماء والحفاظ، من فقير مكسور، أو مجهود محصور، نال منه الفقر، أو قهرته الديون ، فشغلته عن الدعوة والبلاغ ..؟! فهل احتفينا بهم وتفقدنا أحوالهم ... فهم أجدرُ بصدقات مبثوثة، وأموالٍ منثورة، **والله المستعان .**

******

٥٧/ مالكٌ والشهادةُ قبل التصدر..!

قد تتأهلُ ابتداءً ، وتطالع بعمق، وتحوي معارف مختلفة، ولكن أشياخك ومحبيك لهم نظر آخر ! فلا تستعجل الظهور قبل الشهود، وإياك والتصدرَ قبل التزكية والتوصية ..! فهذا إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله(١٧٩) هـ . يعلمنا استشارة الشيوخ، والاتعاظ بنصح الأكابر ، لأنه لا يستقيم أنْ تزكي نفسَك، وفي الناس أشياخٌ لهم وفحول...!

يقول : (ما أفتيتُ ، حتى شهد لي سبعونَ أني أهلٌ لذلك).

وهذه الأهلية نشأت من شيوخه المهَرة، وعلمائه الخيرة، الذين خبَروا علمه، وعاينوا مصداقيته، فلم يعتمد على مدح صديق، أو

تزكية ذاتية، أو حماس شباب، بل أوكل العلم إلى أهله، وجعل الحق في نصابه...!!

وفِي عصرنا يتجاسر طلابٌ على الدرس وهم ناشئون، ويندفع تلامذة وهم براعم، ويسارع مؤلفون ولا زالوا دون اللفائف ...!

وهذا خطأ، مرده الاستعجال ، وتجاهل أغوار العلم وحكمة الشيوخ ، والله المستعان .

وفي قوله سبعون أي عالمًا ترسلٌ واضح، وأناة طويلة، وأن العبرةَ تكاثرُ الشهود، وليس مجرد الشهادة ، وفقنا الله وإياكم لكل خير وفضيلة .

❊❊❊❊❊❊

٥٨/ أيوب والجهد البدعي..!

لا تصحُّ العبادة بلا سنة، ولا ينفع الاجتهاد على ضلالة، أو بصياغة بدع في الشرع جديدة،،،! لأنها كدٌّ فارغ، وجهدٌ ضائع، وخسار واضح ،،! قال تعالى ((من يطع الرسول فقد أطاع الله))

وصح الحديث ((كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار))

وقال الإمامُ أيوب السَّختياني رحمه الله(١٣١) هـ :

(ما ازداد صاحبُ بدعة اجتهاداً، إلا ازداد من الله بعداً).

لأن المسارَ مخترع، والنهج تخليط، فلا هو على هدىً وسنة ، أو في رشد وسلامة .

فكلُّ عملٍ محدث في الشرائع ، بدعةٌ وضلالة ، ولو حسّنه من حسنه ، واستجاده من استجاده . فالعبرة بالسنن وليس بالبدع والمخترعات ، يقول صلى الله عليه وسلم :(من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردّ)

فردّوا البدائع ، وخذوا بالسنن الفواضل ، فهي العز والفضل، والثواب وحسن العاقبة .

******

٥٩/ الحَسنُ واستعفافُ العالم..!

من أنبلِ صفاتِ المؤمن الاستعفافُ عما في أيدي الناس، والعلماء والدعاةُ أولى الناس بذلك، لقيمة ما يحملون، وما له يتصدرون ، وفي القرآن ((يحسبهمُ الجاهلُ أغنياء من التعفف)) سورة البقرة . مدحٌ لبعض أهل الإيمان والصيانة ، وقال العلامة الزاهد الخاشع الحسن البصري رحمه الله(١١٠)هـ : (لا يزالُ الرجلُ كريمًا على الناس ، حتى يطمعَ في دينارهم، فإذا فعل ذلك استخفوا به، وكرهوا حديثه وأبغضوه).

فيا بؤسَ عالمٍ يتلقفُ ما عند الناس، أو يكثرُ سؤالهم ، أو يُريقُ وجهه بين أيديهم ..! فهل يُجدي بعد ذلك علمُه ومكانته لديهم،

وهل ستنفعُ مواعظه وتوجيهاته في مجتمع، كان يتودد إليهم مالا واحتياجا، والله المستعان ..؟!

ليعشْ العالمُ عزيزًا بعلمه ، متعففا عما في أيدي الناس كما قال القاضي الجُرجاني رحمه الله :

أأشقى به غرسًا وأجنيه ذلةً ** إذنْ فاتباعُ الجهلِ قد كان أحزما

ولو أن أهلَ العلم صانوه صانهم ** ولو عظَّموه في النفوس لعَظما ..!

ومضة/ أول سقوط العالم احتياجه للناس ..!

******

٦٠/ ابنُ تيميةَ والعسكرُ الذي لا يُغلب..!

تقوى النفوسِ بالقلوب الممتلئة صدقا وإنابة ((إلا من أتى الله بقلب سليم)) سورة الشعراء .

ومن وسائل صدقها: الدعاء الصالح، واللهج الجميل، والمسألة الثابتة ، وفي الحديث الصحيح ((الدعاء هو العبادة))

فاذا اجتمع لك مع الصدق لهجٌ شفيق، وذكرٌ حفيظ ، أورث لك القوة المتينة، والشجاعةَ التي تُرهب بلا سلاح، وتوجعُ بلا قاذفات ، قال تعالى (فاذكروني أذكركم) سورة البقرة .

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية-رحمه الله(٧٢٨) هـ : (القلوبُ الصادقةُ والأدعية الصالحةُ، هي العسكر الذي لا يُغلب).

وهـذا العسـكرُ المتـين، عُـدةُ المـؤمن، وقوتـه الذاتيـة ، وحركتـه الثابتة، وسعادتُه الغـامرة، ولـذلك هـم في تعلـقٍ بـه، وفي استعصـام بمدلولاته ، لا يهجرونه مهما كانت الأسباب والظروف .

فالذكرُ عزتهم ونورهم وسعادتهم .

❊❊❊❊❊❊

٦١/ مجاهدٌ والالتصاق بالشيخ..!

ربما تلحظُ نسبةً غير قليلة من الذين خلّطوا في العلم، أو فاتهم زبدته، أو لم يحملوا سمته، من الذين تخرجوا بلا شيوخ ، أو صاروا علماء من الكتب والتأليفات ..! وهذا خطأ منهجي في الطلب وتحصيله .

إذ كيف تلج دورَ العلم بلا مفاتيح مشيخية ، أو منافذ أستاذية..؟!

يقول الإمام مجاهد بن جبر رحمه الله (١٠٤) هـ : (عرضتُ القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة).

وفي رواية: ثلاث مرات، يستوقفه عند كل آية أين نزلت وفيم أنزلت..!

والعرض يعني لقاءه والجلوس معه والانتهالَ من فوائده.

وكذا يكون الجدُّ والتعمق العلمي وملازمة الاستنباط والتعلم عليه .

ليس مرةً او مرتين بل مرات وكرات، تثمر الوعي والحذاقة ، والدقة والسمت الحسن والتدين الصالح .

فالقربُ من الشيوخ قربةٌ علمية وفكرية وأخلاقية ، حُرمها بعضُ الناس، ففاتهم خيرٌ كثير، وتبدلت مناهجهم .

ولذلك لا تزهدكَ التقنيةُ والمصورات وسهولة المعلومات ، من لقاء الشيوخ، والعرض على الأعلام ، والإصغاء إلى عقولهم

وأفهامهم ، فإن لديهم أشياء ومفهومات ودرراً، لا تملكها أنت ولا آباؤك الأقدمون...!

فالزمِ الشيوخ ، واعرضْ عقلك، واثنِ ركبتيك، وفقك الله لكل خير وفضيلة .

❊❊❊❊❊❊

٦٢/ قتادةُ والعزيمة المتصاعدة...!

إنما تُختبرُ الهممُ بتصاعدها، وتُعرف بسموها، ولا سيما إذا حضرت المواسمُ المباركة، وتضاعف الثواب، وكانت ميدانَ المسارعة قال تعالى ((وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السنوات والأرض)) سورة آل عمران .

قال سلام بن مطيع رحمه الله :كان قتادة رحمه الله (١١٠)هـ: (يختم القرآن في سبع ، وإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ، فإذا جاء العشر ختم كل ليلة) .

صالح مسارع، شديدُ الصِّلة بالقرآن، فإذا ما بلغ رمضان، تضاعفَ الجهدُ ، واشتعلت العزيمة، واستُثمرت الساعات، ولم يبقَ وقتٌ للضياع والغفلة .

وكذا هي الهممُ الناجحات، التي تعلو ولا تتراجع ، وتتصاعدُ دون توقف، وتلتهب إذا حانت ساعة الجد والالتهاب ، ووقعت أزمنةُ المسارعة والرحمات.

وختمُ القرآن الأسبوعي هو دأب الصالحين الربانيين ، الذين يعتقدون في القرآن مائدتَهم وعزهم وسعادتهم، وأنه مصدرُ العلوم وفقهها ومقدمتها . ومن المؤسفِ تراجعُ هممنا وهمومنا في ذلك، حتى إنّ الوِردَ لمنقوصٌ ومُبدَّد، والله المستعان .

❊❊❊❊❊❊

٦٣/ الذهبي والمسافةُ بين الذكاء والزكاء..!

يبهركُ بعضُ أهل الأهواء بحفظه وذكائه، وتدفقِ معلوماته، ولكن قد ترى فيه عُجبا خفيا، أو جسارة على المسلمات، أو عقلانية يرد بها الأحاديث، أو لا يوقر السلف.... فتدركُ حينها أنه مجردُ حافظ ذكي، لم يهذبه العلم، أو تخالطه آدابُ الشريعة ، وقد قال الذهبي رحمه الله(٧٤٨) هـ في ابن الراوندي الزنديق (كان ذكيًا ولم يكن زكيًا)..!

ومثلها قالها الحافظُ ابن كثير رحمه الله(٧٧٤) هـ ، في الشاعر الزنديق المَعري ، لأشعاره الفاسدة في ذم الشرائع .

فلا يغرنَّ طلبةَ العلم فصاحةُ المبتدع، أو محفوظاتُ الضلال، فإنهم علماءُ لسان، لا علماء جَنان، فكم من ذكيٍّ فيها ما عرفَ أنوارَ الوحي، ولا تزكى بالنهج الحق ، وعاشَ متأكلًا على علوم الأوائل والفلسفات ...!

وليُعلم أنه لا خيرَ في ذكاءٍ بلا دين، ولا عقل بلا تزكية ، ولا عبقريةٍ دون استقامة وصلاح ..! قال تعالى :(قد أفلح من زكاها) سورة الشمس .

ومن فاتته التزكية ، ضيّع الفلاح، وانتهى إلى خسارٍ وضياع ، والله المستعان .

******

٦٤/ حُذيفة ونفاق الداعية..!

خُطبٌ كثيرةٌ، ومواعظُ غزيرة ، وفتاوى هنا وهنالك، ولن تجد طبقةً تحض على الخير، وتنهى وتأمرُ مثلهم... !

وهم مجزيون ومشكورون...! ولكن ليحذروا التقصير، أو ترك العمل، أو رؤيتهم على خلاف ما إليه دعوا ونصحوا... فقد سئل صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حُذيفة رضي الله عنه : ما النفاق ؟ فقال : (أن تتكلمَ بالإسلام ولا تعمل به).

فخذ من عليمِ اللسان كلاما كثيرا، وعملا قليلا، ونصحا طويلا، وتطبيقا محدودا....!

فما تفسيرُ ذلك؟!

ولا تفسيرَ له سوى أن العلوم لم تلج قلبه ، ولم تهذب سلوكه، وتصلح جانبه .

وما أقبحَ أن نحفظَ العلم وندرسه ، ونحن لا نعمل به ..!!

ولذلك وجبَ علينا العملُ بديننا، وأن نكونَ قدواتٍ في الشريعة ، ونماذجَ في التدين والاتباع ، كما هو الهديُ النبوي ، والله يقول :(لقد كان لكم في رسولِ اللهِ أسوةٌ حسنة) سورة الأحزاب .

فاتقِ الله طالبَ العلم، ومن بالإسلام عاملا ، وبالهدي مقتديا، وبالسنة مبادرا ومطبقًا ، والله الموفق .

******

٦٥/ الفُضيلُ والتكبيل السلوكي..!

لا ينفك حملةُ العلم عن الاحتياج العبادي، والتربية السلوكية، والتزكية الروحية، وما ينبغي لهم إهمال العبادة أو الزهد فيها، وليحذروا الشواغل والمثبطات من خطايا وتعلقات دنيوية، يقولُ الفُضيل بن عياض رحمه الله(١٨٧):

(إذا لم تَقدرْ على قيام الليل وصيام النهار ، فاعلم أنك محرومٌ مكبَّل، كبلتك خطيئتك).

وإذا كان المؤمن مدعوًا الى التزكية، فاهل العلم والدعوة، أولى الناس بها، وأحظهم بالعناية بها ، لأنها زادهم في الطريق، وسلوتهم في المواقف ، وغذاؤهم عند الجوع .

فمع التدريس والعطاء العلمي، لابد من زادٍ عبادي، وترتيلاتٍ خفية، ووظائف مخصوصة من قيام وتبتلات، حتى يُعانَ في طريقه، ويهتدى في مساره .

وقد تعجَّبَ بعض الأسلاف من طالب حديثٍ لا يقوم الليل، وليس له أورادٌ معهودة، أو أذكار مألوفة ، لعلمهم بمسيس الحاجة إليها ، وأن العبدَ ضعيفٌ بدونها، ومصيره الهُونُ والإعياء ، والله المستعان .

وفي سياق ذلك، ليحذر مادةَ حرمانها والسبب في تضييعها، كالذنوب والغفلات الجامحات ، فما وقع فيها إنسانٌ إلا وقع في مَقتل، ولا حول ولا قوةَ إلا بالله ..!

******

٦٦/ الثوري وفتنةُ العابد الجاهل..!

العبادةُ تاجُ العلماء والصالحين، ولكنها تسوءُ على عابدٍ بلا علم، أو صالحٍ بلا فقه، أو سالكٍ بلا معرفة....!

وعن سفيان رحمه الله قال: كان يقال: (تعوَّذوا بالله مِن فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر، فإنَّ فتنتهما فتنةٌ كلِّ مفتون).

فسَلّح نفسَك دائمًا بالعلم والتحصيل ، ولا تتقربْ بالجهالة ، أو تسلك طريق الخرافة، وانصَب لدى العلماء ودروسهم، أو استمع إنتاجهم العلمي، ولا تكن محل سخرية الآخرين ، فالجهل شجرةٌ تتبت فيها كل الشرور، وتجتمع فيها كل المناكد..!

والمشكلة اغترارُ العوام بهم، وتسنمهم للفتيا أحيانًا ، فيغترون بذلك، وأنهم على شيءٍ ، فيحصل التعثر والزلل..!

ولذلك وجبَ علينا أخذُ الحذر..! وكما نخاف العبادة الجاهلة ، نخاف أيضًا العالم الفاجر، المتمرد ، والذي يجحد الخشية ، وليس للشريعة في قلبه من موقع، والله المستعان .

قال تعالى :(ذلك ومن يعظم شعائر اللهُ فإنها من تقوى القلوب) سورة الحج .

ومن لم يعظم الشرائع ، ويَصُنْ الفرائض ، فليس ذَا قلب تقي ، ولا منهج زكي ، والله الموفق .

******

٦٧/ الشافعي والتبجيلُ العلمي..!

وفاءُ العالمِ والطالب ، ليس بمجرد شكله الخلقي، أو بسماته المتوالية وعبارات من هنا وهنالك ...! أو لحفظ الكتب ورد الكتب ، والمذكرات العلمية إلى أهلها ... ! كلا.... ! بل هي بذلك وزيادة ، مما قد لا يَفطنُ له بعضُ الناس من نحو :

- حفظ مجالس الإخاءِ وما تبدى منها من طيبٍ وأنس .
- نسبة العلم إلى أهله بلا كبر واستحياء، ولو كان شيئا يسيرا كلفظةٍ أو فائدة أو شيء مصغر مهين...!
- حفظ السر العلمي والدعوي والمشيخي الذي يكره الأستاذ نشره والتسميع به .

يقول الإمام الشافعي رحمه الله (١٥٠)هـ : (الحُر مَنْ رَاعَى وِدَادَ لَحْظَةٍ، وانْتَمَى لِمَنْ أَفَادَه لَفْظَة).

والمراعاة العلمية تقتضي حفظ الوداد السابق ، والعلاقة الطيبة، وأسرار، المجالس ، وإسنادَ العلم إلى أهلهِ ، وعدم التعالي على الشيوخ ومصدر الفوائد .

ولو كان اللقاءُ عابرًا ، والمجلس يسيرًا . فالأحرارُ لا يُفشونَ الأسرار ، ولا ينقضون المواثيق ، ولا يفضون العهود ، وهذا من آداب الصداقة والإخوة ، والله الموفق .

******

٦٨/ ابنُ مسعود والفتوى المجنونة..!

قرأتَ وتعمقتَ، ودرست وتأهلت، وبتَّ مفتيا مسؤولا عند الناس...! ولكن يحسنُ أن لا تكون مجيبا لكل سؤال، ولا مخزنا لكل متطفل، ولا مقصدا لكل راغب وممتحن...!

وكما قال الصحابي ابن مسعود رضي الله عنه (٣٢) هـ. وهي حكمة لطيفة، داعيةٌ الى الترسل والاقتصاد الفقهي، وتُروى أيضا عن الحافظ الفذ سفيان الثوري رحمه الله (١٦١):

(إن الذي يُفتي الناس في كل ما يستفتونه، لمجنونٌ)!! أخرجه الدارمي في سننه.

والجنون فنون كما يقال :

فمنه إجابةُ كل سؤال، والتعليق على كل معضلة، والبدار إلى كل خلاف، والإفادة في كل نازلة..!

وليس هذا منهج أهل الورع..

والمسلكُ الأحسن الأقوم : الاعتدال والتوسط، وعدم لفت الناس إليك، وصيرورتك مرجعا شرعيا في كل شيء، ..! وفي الناس ممتحنون، ومزعجون، وفي أيامهم فتن ومدلهمات، تحتاج لعقول متوافرة، وأفهامٌ متغازرة... ! وفيها مما كان عمر يجمع له مشيخة بدر رضي الله عنهم ...!

ونتائج الاستعجال الإفتائي:

١/ جذب الناس وأنظارهم.

٢/ الاستعجال والاغترار بظاهر السؤال.

٣/ اتهام الناس لك بعدم الإخلاص وحب التصدر .

٤/ الزلل الذي قد يُدق له الطبل .

٥/ استقباح لا أدري مع طول الزمن ، والتحرج من قولها .

ومضة/ كثرةُ الإفتاءِ مظِنةُ الزلل والغلط ..!

******

٦٩/ الحسنُ وليلُ الطلاب..!

برغمِ ما في قيام الليل من محاسن لأهل الإيمان، إلا أنه لأهل العلم زيادةُ رفعةٍ وخشية وتمكين، فهو مفتاحُ كنوزٍ علمية، ومصداقُ دروس وعظية، وعلامةُ رقابة روحية، ولذا لا يستقيمُ الطالب بلا ليلٍ تائب دائب ..

وقد كان الحسنُ البصري إذا قرأ : (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما).

قال : (هذا وصف ليلهم !).

فلا تحرم نفسك أن تكون منهم .

فلا يكن ليلُك سهراً علميا أو بحثيا، وليس فيه ساعاتُ قيام، أو لحظات مدامع واستغفار، فإنها زاد المتقين، ودرع الصالحين المصلحين .

الليلُ للناس ليلُ اللهو والطربِ ** وليل أعلامنا صلَواتُ منتحبِ..!

وفي الليل أنوارٌ روحية ، وأنوار علمية ، وانوار جسدية، والأجدر بها، أُهيلُ العلم الربانيون، الذين اضطلعوا برسالة العلم وواجباته ، فهيضوء لهم وتثبيت، وردء سابغٌ وتمجيد .

فخذ حظك من الليل، وتذكر الممدوحين من الصالحين ، وكيف أثنى اللهُ عليهم، وبين تعظيمهم للساعات واللحظات .

(كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون بالأسحار هم يستغفرون)

سورة الذاريات .

فواظب على القيام وأحبّه ، كحبك العلمَ والتدريس والتأليف، واعلم أن لا غنى عنه لمن وعاه وأدركَ عاقبته ، يقول الثوري رحمه الله : (إنِّي لأفرحُ إذا جاء اللَّيل لأستريحَ من رؤية النَّاس).

والله الموفق .

******

٧٠/ ابو حاتم والحُسْنُ العلمي..!

علينا أن نفيدَ من تجاريب الآخرين العلمية كعلمائنا الأفذاذ ، الذين مهَروا الآلة ، وخبَروا الطريق ، لأنَّ المعلومات واسعة، والكتبَ كثيرة، والأعمارَ محدودة .

ولذلك يقول الإمام أبو حاتم الرازي رحمه اللهُ :(اكتبْ أحسنَ ما تسمع، واحفظ أحسنَ ما تكتب، وذاكر بأحسنَ ما تحفظ).

وهي قاعدة منهجية متدرجة، فيها انتقاءٌ واختصار، وتجريد وتجويد، لأن المرءُ يكتب كل شيء للمرة الأولى ، والأحكمُ كتابة محاسن العلم، ثم يتحفظ محاسن ما كتب وطاب، ثم يراجع ما رسخ معه واستدام .

فيكون بلغ خلاصة العلم وعصارته ، واختصر مراحل عديدة، ووفر ساعات طويلة .

وهذا الفقه المسدد تجاه سيل عرم من المعارف المنشورة ، والأفكار المطروحة ، والمصنفات المنقولة ، مع استصحاب حالة المناجاة مع الله ، ودعائه الدائم ، وسؤاله البركة والتوفيق .

فمن بوركَ له وفق للمحاسن ، واجتاز المصاعب ، وبلغ المعالي ، وذلك فضل الله وتوفيقه، وقد كان من دعائه صلى اللهُ عليه وسلم : (اللهم اهدني وسددني).

وقوله (وبارك لنا فيما اعطيت) وقد سيقت لنا العلوم سَوقًا جميلًا ، وانتشرت انتشارا وفيرا ، ولكن البركة مفتقدةٌ عند كثيرين إلا من رحم اللهُ ، والله المستعان .

******

٧١/ الأوزاعي وآثارُ السلف..!

ليس ثمة جيلٌ أو قرن ، فُضِّل علما وفهما كالسلف السابقين رضي الله عنهم، فتعلقْ بمنهجهم ، وسِر على طريقتهم، ولا تجانف فهمَهم (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) سورة التوبة .

يقول الإمامُ الأوزاعي رحمه اللهُ (١٥٧)هـ :

(عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول ، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم).

وكأن الإمامَ رحمه الله توقع سخرية سيتعرض لها المتبعون ، والثابتون على الطريق، لا سيما حينما ازدهرت الحياة ، وتضخمت المدنية ، وباتت النظرةُ السلف والتراث دونية من قبل أناس تراخوا في دينهم، أو استُضعفوا شريعتهم، ووثقوا في أعدائهم .

ومن سمات مدنيتهم : تقديمُ العقل على النقل ، والرأي على النص، والتوسع في التنظير دون الدلائل وحسن التحصيل ، والركون للدنيا، الصارفة عن علوم الآخرة والاستعداد لما بعد الموت، وقد قال عليه الصلاة والسلام :(خيرُ القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) وهذه منزلةٌ للسلف لا يبلغها من بعدهم، والله الموفق .

******

٧٢/ ابن معين وطوق العلم..!

ليس العالم كبقية الناس في كلامه وخلقه، يُستفَز فيهدأ، ويُسَبُّ فيصفح، ويُجهلُ عليه ، فيقول كلاما لينا،،،! وهنا العلامة الأثري النقدي يحي بن معين يعلمنا طوقَ العلم وحجابه، وانضباطيته ، وحمله أصحابه على الصفح والهدوء ومكارم الأخلاق...! فلسنا سبابين أو شتامين، أو تسوقنا المغاضب إلى الهذيان ...! كلا بل يصبر العالم ويحتسب...!

وقد سَبَّ رجلٌ يحيى بن معين رحمه الله ، فلم يرد عليه،

فقالوا له : لماذا لم ترد عليه ؟

قال : ولماذا تعلمت العلم إذن !

نعم العلم حجاب رفيع، وطوق متين، يحملك على النزاهة ، ويصون منك اللسان ، ويحمي لك الأخلاق.

فلا يسوغ أن تكون حافظا فقيها، أو محدثًا بارعًا ، ولكنك منقوص الخلق، ممتهن الأدب...! فذلك ينافي ما تعلمته، ويناقض ما تربيت عليه، ويضاد كل معنى أخلاقي جميل ...!

لأن الإسلامَ يدعونا لاستعمال التي أحسن ، وأن نقولَ بالحسنى، ونتحدث بالفضلى.. (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ، إن الشيطان ينزغُ بينهم) .

والانفعال ومجاراة السفهاء نزغ شيطاني، يضاعفه الشيطان، ويبغضه الله تعالى، وينتهي بك الى اخلاق العامة، وليس الصفوة الخاصة ، والله الموفق .

❊❊❊❊❊❊

٧٣/ الشافعي وإصابةُ أهل الحديث ..!

ليس ثمة طائفة علمية تساوي فضلهم، أو تداني مصداقيتهم وتوفيقهم العلمي، والسبب استنادهم المرجعي، وأساسهم المعرفي، إنهم أصحابُ الحديث، وحملة النصوص

قال الشافعي رحمه الله : (عليكم بأصحاب الحديث، فإنهم أكثر الناس صواباً) .

لأنهم حول النص، وليس الشخص، وفي كنف الخبر، وليس الإمام ، وفي عمق الدليل، وليس المذهب..!

فمذهبهم نصي، واتجاههم برهاني ، منه ينطلقون ، من خلاله يفكرون .

ولكن شريطة أن تكون لديهم أدوات الفهم والاستنباط ، وليس مجرد الحفظ الأولي ، لأن هناك معالم للاستنباط ، ويوجد ناسخ ومنسوخ، ومحكم ومشكل ، ومطلق ومقيد، وقد لا يعرفها الحافظ الجامد، الرافض للفهم والاستدلال ، وفي القرآن:(لعلمه الذين يستنبطونه) سورة النساء .

وصحّ قوله صلى الله عليه وسلم : (من يرد اللهُ به خيرًا يفقهه في الدين).

فافقه يا صاحبَ الحديث النص أولا، وانظر كلام العلماء فيه، وحينها تكون مقدمًا مصيبا، وأثريا لبيبا ، والله الموفق .

******

٧٤/ أبو الدرداء وبركُ الغماد :

العلم النافع ليس مخصوصًا بكتاب أو موسوعة ، أو مكان، أو شخصيات ، بل أينما وحب النفير فيه والبحث عنه .

يقولُ أبو الدرداء رضي الله عنه: (لو أعيتني آيةٌ من كتاب الله ، فلم أجد أحدًا يفتحها علي ، إلا رجلاً ببرك الغماد لرحلت إليه).

لماذا كل هذا التعب..؟!

لأن العلم نفيس، والفهم عزيز، والفائدة نادرة ، والبركة عائدة ..!

فلا يفرط فيها، أو يزهد في ثمراتها .

وقد قال ذلك ابو الدرداء رضي الله عنه في زمان سابق، معدوم الراحة، قليل المتعة، ليس فيها طائرات ولا سيارات، وإنما الدوابُّ والفقر، والإبل والمشاق ..!

ومع ذلك سافروا وجدوا، وطلبوا وتعلموا ، كما قال :(فلولا نفر من كل فرقة طائفةٌ منهم ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم..) سورة التوبة .

وفي هذا العصر الترفي الغاص بالنعم ، تراجعت الهمم، وذبلت العزمات ، حتى إنه ليُزهدُ في العلم، وتُهجرُ الكتب ، وتتلاشى الدروس... وهي قريبة مواتية ، وقطوف دانية ، ولكن الطلابَ في هروب عنها، وفي صدود وانشغال، **والله المستعان .**

******

٧٥/ ابنُ خلدون وتكوينُ الملكات :

الملكاتُ مهارات في العلم ، تعين على الحذق واختصار المسافات، وجني الثمار. ومع كونها في الكتب ، إلا أنها قد تحصل من أبواب أخرى ، كالأشياخ والاساتذة الفضلاء ، فلديهم ملكات ومواهب تعرو عنها الكتب والموسوعات والكمبيوترات ..!

قال العلامة ابن خلدون رحمه اللهُ في مقدمته : (على كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها) .

لأن الشيوخ طبيعةً متنوعون، ومختلفون ، واختلافهم التخصصي والإبداعي ، يتيح للتلميذ اليقظ حملُ ذلك كله، وانتهال دره

وجوهره . ولذلك يوصى الطالب بالاستكثار من الشيوخ، والارتحال العلمي، وزيارة الأئمة ، والسعي بلا تردد، والحضور لكل فهيم مقدم، فلا تُنال المواهب الا بذلك، ولا تحرز الملكات إلا بتضحيات السفر والبذل والعطاء .

وليكن الطالب كالنخلة الذكية التي ترتشف الرحيق بلا نعيق، وتحصد الشفاء بلا شقاء ، وتصطاد الحلاوة بلا حفاوة ، وكلما تواضعنا للاشياخ ظفرنا بكل مخزونهم وموروثهم ، والله المستعان .

******

٧٦/ ابنُ المبارك وتعليم الناس..!

يا أيها الشرعي والخريج، الباحث عن الذات، والمحتاج إليه علمـًا وفقهًا ، متى ستبلغ العلم، وتزكي الفقه، وتنشرُ السنن، وتشيع المواعظ...؟!

لقد احتاجَ الناس، وفيهم الجهال والاميون..! ولم تغن التطورات الحديثة عن فقهٍ منشور، أو دعوةٍ ميمونة ..(ومن أحسنُ قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا) سورة فصلت .

سئل الإمام الفذ عبدالله بن المُبارك رحمه الله :

"لوقيل لك : لم يبق من عمرك إلا يوم ماكنت صانعا ؟ قال: كنت أُعلّم الناس " .

لأن تعليمَهم نورٌ على نور، وهدى فوق هداية ، وزكاة وانشراح ، وسرور وثبات ، قال صلى الله عليه وسلم:(بلغوا عني ولو آية) .

فبلغ مهما كانت الظروف، ودرس ولو سهر الاخرون ، وادعُ ولو نقد النقاد، وانشر ولو كنت مجهودًا..!

لأنكَ لا تعلم مدى أثر تلك الموعظة الحية ، ولا ثمار ما تعود به كلمة صادقة، أو درس متعاهد..!

الناس فقيرة من الإيمان والعلم، ويتيمة إلى الوعي والرشد ، ومشوقة إلى النصح والوعظ، والدين النصيحة .

فانصح لنفسك وإخوانك وعموم المسلمين ..(ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير) سورة آل عمران .

******

٧٧/ الطبراني ونومُ البواري..!

تخيل أن تلجَ بيتك وليس ثمة فراشٌ، أو المكيف عطلان، أو طار النوم اللذيذ على الفراش الوثير..!

فهل ستصبر على ذلك، وتحسن أن تجمعَ معه العلم وحفظه، والعلم وكتابته..؟!

هذا الإمامُ الكبير أبو القاسم الطبراني رحمه الله، حُكي عنه قوله: (كنت أنام على البواري -يعني الحصير- ثلاثين سنة). أي محروم الراحة والتنعم، ولكنه منقطع للتأليف والتعلم، قد استمرأ الجد، وتقلد الحزم والإصرار.

وقيل :

والطبـــراني صـــاحبُ المعـــاجمِ ** نحـــو ثلاثـــين بـــلا منـــاعمِ

على البواري لا يجد من مَفرشِ ولا ســـرير طيّـــب ومـــنعشِ

وفي ذلك دليل على سمو منزلة العلم في حياتهم، وأن نفوسهم موطَّنة على كل مر ومتعبة، وأن شرفَ العلم يفوق شرف الدنيا ولذاتها، وأن أشرفَ التضحيات ، التضحياتُ العلمية، التي يُصدرُ فيها العلم ويحتفل به، بحيث لا يصرفه صارف، ولا يدفعه دافع..!

وفيه تقلل الطالب من الدنيا، وارتضاؤه اليسير، وأن اليوم شبع وجوع، وغدًا سعة وضيق، وهكذا هي الحياةُ .... ولا يدوم على حال لها شأن..،!

وليحذر الطلاب من الانهماك الدنيوي ، الذي يفني محبة العلم في قلوبهم، بحيث لا يأكلون إلا الفاخر، ولا يلبسون إلا الناعم، ولا ينامون إلا على الرائق..!

وليكونوا معتدلين ، ومتنعمين بما تيسر ، بلا إسراف ولا مَخِيلة، والله الموفق .

❊❊❊❊❊❊

٧٨/ اللؤلؤي وملازمة الكتب ....!

من علامةِ الجدِّ وعلو الهمة والحفاظ على الزمان، التزامُ الكتب على الدوام، وحملُها في كل مكان ، ومطالعتُها كل ساعة، وتقليبُها سائرَ اللحظات ، يقول العلامة اللؤلؤي رحمه الله :(غَبَرْتُ أربعين عامًا ما قِلتُ ، ولا بِتُ ، ولا اتكأتُ إلا والكتاب موضوع علي صدري) .

وكتابُه الصدري، يعني قربَه وديمة المطالعة ، والشغف بالمعرفة ، وإيثاره على كل المناعم والملذات..!

ولكننا للأسف بتنا في عصرٍ فخيمٍ رفيه ، مشحون بالنعم والتشعبات ، التي قد تسبقُ العلم ، ويُفتن بها الناظر ، فيقدمها على ورده اليومي، أو درسهِ الثابت ، أو قراءته المعهودة ...!

وقد اسس كثيرون في بيوتهم مكتبات، حزنت من طول الهجر، واغبرت من عِظم البون ، وتبعثرت من ألم الفراق..!

فعودوا إلى مكتباتكم ، وتفقدوا كتبكم، وجددوا مطالعتكم ، فلا شرفَ لنا إلا في التزام الكتب، واللصوق بالقراطيس حبًا وكتابة ومطالعة ، فمنها يتحصلُ النبوغ ، وينبتُ التفوق ، وقد قدمنا سابقا مقولة البزاز الحنبلي رحمه الله (من خدم المحابر خدمته المنابر) والله المنعم الفتاح ، وهو خير الفاتحين تبارك وتعالى .

❊❊❊❊❊❊

٧٩/ ابنُ حبان والألفا شيخ..!

كما أن الكتبَ مفاتيحُ العلوم، فالشيوخُ أيضا مفاتيحها وترياقها وكنوزها المخبأة..!

وهنا إمامٌ حافظ ، طار رحالةً جوّالا، طوافا المشرقَ والمغرب، لا يكاد يترك بقعةً، أو يسمع بعالم إلا زاره واستفاد منه .. حتى قال وهو ابن حبانَ البستي رحمه اللهُ" لعلنا كتبنا عن ألفي شيخ" .

فانظر لهمةٍ خارقة، وأسفارٍ نادرة ، وتحمل عتيد، وإصرار عجيب..!

ويأتيك بعد ذلك ، جويهلٌ حدَثٌ، لم يجمع العلم ، ولا ثنَى ركبتيه عند الشيوخ منتقدا ومؤلفا ومتعقبا.. يظن أن وثيقةً هشة ، طالها الجميع، كافية في الإبداع والإتقان...!

والتطاول على الأئمة والأقران والجيران ...!

يا هذا ترفقْ، وترسل، وعد إلى رشدك.. فالرشدُ علمٌ ووقار، وفقه وحكمة، وهديٌ وأدب . ومن لم يتأدب مع الأكابر ، ويرعى حق الأعاظم ، فمتى عساه أن يتأدب..؟!

وتعلم من أولئك ، أن الشيوخ آلة وجوهرة لفهم العلوم، فلا غنى عنهم، لا كتبٌ تسد، ولا كمبيوتر يعوض..!

فالهمةَ الهمة، والنجاءَ النجاءَ ، ومن حُرم الشيوخ فاته كثيرٌ من العلم والأدب والتحقيق ، وناله الخطأ والعثرة والتخليط ، والله الموفق.

******

٨٠/ الأوزاعي والتعويلُ على الكتب..!

الكتبُ مهمةٌ للطالب، ولكن لا يعول عليها بإطلاق ، ويضيع الشيوخ والأساتذة ...وفي القرآن في قصة موسى والخضر عليهما السلام : (هل أتّبعكَ على أن تعلمنِ مما عُلمت رشدا) سورة الكهف .

قال الإمامُ الأوزاعي رحمه الله محذرا من ذلك :(مَا زَالَ هَذَا الْعِلْمُ عَزِيزًا ، يَتَلَقَّاهُ الرِّجَالُ حَتَّى وَقَعَ فِي الصُّحُفِ، فَحَمَلَهُ - أَوْ : دَخَلَ فِيهِ - غَيْرُ أَهْلِه)..!

يقصد قرأ الجهال والمندفعون والمستعجلون ، فحصلوا قليلًا ، وفاتهم جلُّه ومعظمه، فتصدروا ، فضلوا وأخلوا ، وهذا مصداق

الحديث الصحيح، قال عليه الصلاة والسلام : (اتخذ الناس رؤساءَ ضلالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا).

لأن الشيخ أمان، والأستاذ مصحح، ولهم تجاربٌ ومواقف لا تلقاها في الكتب، ولا تحتويها الأسفار ، وإنما هي في بطون الأشياخ وأفهامهم ، فالواجبُ تحصيلُها من عندهم، والسعي وراءهم، والبحث عنها . ومن سلاسل اكتمال العلم ونقله، أخذه من الأفواه ، وليس الكتب والصحف ، ليكمل صحةً، ويطيب خلاصة، ويجمل عصارة وفائدة.

❊❊❊❊❊❊

٨١/ وكيعٌ وحسناتُ التحديث ..!

من محاسنِ شرف العلماء وجريان حسناتهم ، كثرةُ صلاتهم على رسول الله عليه الصلاة والسلام، فيسمّيه المفسر، ويحتجُ به الفقيه، ويذكره الأصولي ، ويصلي عليه المحدِّث ، وكلُّهم له في ذكر وإجلال ، وصلاة وثناء .

ولا يكاد يخلو درسٌ علمي، أو مجلسٌ وعظي من الصلاة الإبراهيمية الذهبية، وكنوزها الباهية..!

قال الإمامُ وكيع بن الجراح رحمه الله :(لولا الصلاةُ على النبي "صلى الله عليه وسلم" ما حدّثت).

لأنها قيدٌ عمليٌ فاخر، ونهرٌ ثواب زاخر، يحملكَ على العلم والثواب ، والفائدة والنوال .

ففي الرواية ذكرٌ وثناء ، وثوابٌ وتدريس، ونفع وتحصيل، ومراجعة وصفاء، واقتداء وبركة. وكل الأعلام في بحرِ خيرها، والمحدثون أكثرهم ذكرا وصلاة، حيث الأحاديث المتوالية ، والنصوص المتتابعة، والوعي الشرعي المتكامل (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) سورة الأحزاب .

نورٌ أطلَّ على الحياة رحيمًا ** وبكفه فاضَ السلام عظيمًا..

لم تعرفِ الدنيا عظيمًا مثلَه ** صلوا عليه وسلموا تسليمًا..

وقد عدّ العلامةُ القيم رحمه الله نحو الأربعين فائدة لها، كما في جلاء الأفهام ومنها:" أنها سبب لكفاية الله سبحانه وتعالى العبد ما أهمه ، وأنها سبب لقرب العبد من النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .

وأنها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة . وأنها سبب لقضاء الحوائج .

أنها سبب لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكته عليه ، وأنها زكاة للمصلي وطهارة له .

وأنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته ..." !

******

٨٢/ عمرُ بن عبد العزيز ومقام السُنة ..!

مهما حببتَ أشياخا ، أو عظّمت أساتذة ، فيبقى تعظيما محدودًا، لا يتعارضُ والحق، ولا يختلف مع النصوص، لأن التعظيم الحقيقي إنما هو للنص والدليل...(قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) سورة البقرة .

قال الخليفةُ عمر بن عبد العزيز رحمه الله:(لا رأيَ لأحد مع سنة، سنّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم).

وهو كذلك ، قاعدةٌ محكمة ، وأصل منهجي ، من تجاوزه مُقت علمُه، وأهينَ طرحُه، ولم يُلتفت إلى فقهه..!

لأن قوة العالم في أدلته ، وسعادته في براهينه الشرعية ، ومنهاله من سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام..(فما آتاكم الرسولُ فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) سورة الحشر .

ولذاك انتهِ عن مخالفة، أو منابذة للسنن ، قال تعالى :(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) سورة آل عمران.

فمحبةُ الله ومرضاته مشروطةٌ باتباع رسول الله، وإظهار قوله، والإذعان لهديه ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

******

٨٣/ أبو حنيفةَ ووفاءُ التلاميذ ..!

مهما بلغتَ من العلم، ونلتَ من المراتب العلمية ، أو حزتَ من الجوائز ما حزت .. فلا تنس فضلَ شيوخك عليك، وأساتذتك الذين تحملوا وعلموا ، وتَعِبوا واجتهدوا ، فهم آباؤك روحا وعلما وتوجيها .

وفي هذا السياق الوفائي الأخلاقي يقول الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله : (ما صليتُ صلاةً منذ مات أستاذي حمادٌ ، إلا استغفرتُ له مع والديَّ، وإني لأستغفرُ لمن تعلَّمتُ منه علمًا، أو علَّمتُه علمًا).

وهذا درسٌ في الوفاء ورد الجميل، وعرفان بقدر الشيوخ والأساتذة، لا سيما من أمطركَ علما وفضلًا، ورعاك بذلًا وعونًا ، وفتح لك مغاليق ، ويسّر لك مضايق. وقد قرنهم الإمامُ بشأن الوالدين .

وحتى من كان غليظًا منهم، فإنه في النهاية معلّم ، له فضل العلم والأستاذية، فلا تنسه من الدعاء والتقدير . فأولئك هم أساتذتك، انشر خيرهم، وادعُ لهم، وقل لأبنائك هؤلاء من علموني، وكان لهم الفضل الأكبرُ بعد الله تعالى .

❊❊❊❊❊❊

٨٤/ الخطيبُ والتميز بالعمل ..!

لا شيء يجمّلُ العلم مثل العمل به، ولا يسر منظرُ العالم والطالب إلا بحسنِ العمل والاقتداء (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) سورة الأحزاب .

وكيف يطيبُ علمٌ بلا عمل ، وتحسن مواعظ بلا تطبيق، وتنتشر توجيهات دون مسارعة وانتباه ، قال تعالى :(ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدَّ تثبيتا ..) سورة النساء .

وهنا يقول الخطيبُ البغدادي رحمه الله مصنف تاريخ بغداد والرحلة والجامع :(ينبغي لطالب العلم أن يتميزَ عن الناس بالعمل بعلمه).

وتميزه سنةٌ واستنارة ، واتباع و تعظيم، وبركة وتقوى، ودعوة وانتشار .

وإذا لم يعمل الشيوخُ والطلاب بعلومهم كانت وبالًا ، ويقلُّ الاقتداء، ويتناقصُ الناس ، وتذهبُ بركةُ العلم، ولا يكون ثمة أثرٌ للدعوة..! .

وعدم العمل بالعلم نقصٌ في الوعي والإيمان به، وهو دليل التقصير ، والاكتفاء بالمحف

وظات والسماع ، وبرهان على عدم ولوج العلم القلب، لأنه لو ولج ربح وانتفع، وبورك له وانتفض ، حيث سيصلحُ القلب، وتزكو الروح، ويحيا الحياة الط..والله الموفق .

******

مواقف علمية (٢)
٨٥/ مالك بن دينار والعالم الحليم ..!

ما أجملَ الحلمَ يتحلى به العالمُ والشيخ والداعية، وقد فتح الله عليهم فضلا وعلما وتفقها ، فيُرى ذلك في أخلاقهم ودروسهم .

ولذلك يقول الإمامُ مالك بن دينار رحمه الله :(كان يقال : ليس شيء أشدَّ على إبليس من العالم الحليم، إن تكلم تكلم بعلم، وإن سكت سكت بحلم).

فحلمُ العالم ذلك، وقارٌ يحمله على لسانٍ عليم، وقلبٍ خَصيب ، فلا يهرفُ بما لا يعرف ، ولا يعلق على كل شيء، ولا يوقع اندفاعًا واستعجالا...!

بل يترسل ويترفق، لأنه مؤتَى الحكمة، ومن يؤتاها فقد أوتي خيرًا كثيرا...!

وتلك الحكمة، المكتنزة بخشية الله ومراقبته ، تجعله معظما للعلم ، موقرا للشرائع ، يخشى التوقيع على الله تعالى بلا علم ، قال تعالى : (ولا تقفُ ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولًا) سورة الإسراء.

اللهم اجعلنا ممن عظَّم العلم واتقاك فيه، والله الموفق .

******

٨٦/ ابنُ مسعود والحديث المعقول ...!

يَمهرُ العالمُ علومًا ، وتتسعُ مداركَه، ويحفظ ويجمع ما لا يجمعه غيره من العامة ، ويصبح في منزلة عليا عنهم ، فإذا خالطهم -وهو حتمٌ-، في مجالس أو دروس، وجب عليه شرعا وفقها النزولُ إلى مستوى عقولهم وقدراتهم ، لئلا يشوش عليهم ، ويتخير من الأحاديث ما يصلح لهم، وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : (ما حدثتَ قومًا حديثًا قط لم تبلغه عقولهم، إلا كان فتنةً على بعضهم) .

فالتمس حديثًا يبلغ عقولهم ، ويستدرجهم إلى الخير، وليس ما يعلو عليهم أو ينفرهم ، ويسبب لهم فتنة، وذلك من الفقه الجميل ، والحكمة الواعية، التي قد يقصر فيها بعض الناس .

كأحاديث العقائد وتفصيلاتها ، والخلافات الفقهية ، وغريب المسائل ، مما لا يحسن بثه في المساجد ولا في الدروس. وتعلم من فقه رسول الله وهديه، لما أراد أن يتأكد من إسلام الجارية ، قال لها:(أين الله، قالت: في السماء ، قال : أعتقها فإنها مؤمنة) .

فاحمل الناس على المحامل الحسنة ، وبسّط العلمَ لهم، وركز على أصوله وأسسه ، ونظير ذلك قول علي رضي الله عنه :(حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله)؟!.

والسببُ هو الجهل بفقه الدعوة والعلم والبلاغ، فليس كلُّ شيء يقال، وليست كل مسألة تذاع، والله الموفق .

******

٨٧/ الشافعي والأدب مع الشيخ..!

كثيرونَ هم الذين يحرصونَ على العلم وجمعه ، والكتب وادخارها، ويقللون من شأن الأدب، وقيمة الأخلاق ، أو يعتبرونها ثانوية، ولا يُلقون لها بالا..!

وتناسوا أن العلم لا يكملُ بلا أدب ، وأن المحفوظات زائفة ، بلا أخلاق ، وها هنا درس من الإمام الشافعي، رحمه الله ، يعلمنا توقير الشيخ، واحترام المعلم ، يقول رحمه الله :(كنت أتصفحُ الورقةَ بين يدي الإمام مالك، تصفحًا رقيقًا، يعني في مجلس العلم، هيبةً لأنْ لا يسمعَ وقعَها) .

خلافـًا لمـن يـرادُ شـيخه، أو يحـدث جَلبـةً أو يكثـر التلفـت، أو يقلـب جوالـه في هـذه الأزمنـة ، غيـر مبـال بـأدب العلـم، واحتـرام المجلس...!

فتعلموا يا طـلابَ العلـم أدبَ المجـالس ، وزينـةَ العلـم، وتبجيـل الشيوخ، وسكينة الاجتماع . فلا يحلـو العلـمُ إلا بسـمت ووقـار، وشمائل وأخلاق ، قال تعالى :(وإنك لعلى خلق عظيم) سـورة القلـم . وإن الشـيخَ ليجـلُّ مـن تلامذتـه المـؤدبين الملتـزمين دينًـا ووقارا ، وقـد بُعـث رسـولُنا صـلى الله عليـه وسـلم بتتميـم مكـارم الأخلاق.والحمدُ على فضله ودينه.

******

٨٨/ مالكٌ ووصفا طالب العلم..!

العلمُ أجلُّ الأوصاف وأعلا المراتب ، ومن حملها تعينت عليه صفات، ولزمته حليةٌ مخصوصة ، اختصرها الإمامُ مالك بن أنس رحمه الله في عبارة جليلة، وحكمةٍ أصيلة ، يقول :(إن حقـًا على من طلب العلم، أن يكونَ عليه وقارٌ وسكينة وخشية.. وأن يكونَ متبعـًا لآثار من مضى قبله).

فصفةٌ في ذاته هي خشيته لربه، وتوقيره للعلم كما تقدم، وصفة في غيره، وهي حملُ الآثار ، والسير على طريق الأئمة المهديين ، قال تعالى :(أولئك الذين هدى اللهُ فبِهُداهمُ اقتدِه) سورة الأنعام .

وصحّ قوله صلى الله عليه وسلم :(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي).

لأن آثارهم المراد بها السنن، والنهج الحق، والسير على الصراط المستقيم ، وعدم المخالفة والخروج عن إجماعهم.

وقد ظهرت طوائف تقلل من كتب التراث ، وتهتم بالعلوم العصرية ، أو تقول اعتمدوا الوحيين بفهوم جديدة، وفقهيات حديثة، ضاربةً بالهدي السلفي الجدار، وأن لديهم من العقل والقوة العلمية ما يمكنهم من الاجتهاد الشرعي المفيد ..!

وتلك رزية في العلم والفكر والمنهجية .. دواؤها الرجوع إلى الله، والاستغفار ومعرفة قدر السلف (والسابقون الأولون من

المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان ..) سورة التوبة .

ففضلهم عظيم، وعقولهم ثاقبة، رضي الله عنهم أجمعين.. والله الموفق .

******

٨٩/ ابن الجوزي وذواق العسل...!

حينما يجدُ الطالبُ حلاوةَ العلم، وتتعسّل حياته العلمية شَهدا وعطرا وملذات، فإنه يستلذُ حينها المتاعب، وتهونُ لديه الشدائد، بل ربما يستهويها ويتحملها ، ويستطيب أنكادها وما فيها من سفر وفقر وارتحال ...!

يقول العلامةُ ابن الجوزي رحمه الله :(ولقد كنتُ في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ، ما هو أحلى عندي من العسل ، لأجل ما أطلب وأرجو..)!

وهذه نعمة يؤتيها الله لبعض عباده، لصدق نواياهم ، وحسن توجهاتهم .

فحسِّن نيتك في الطلب، وأخلص في العلم، واستحضرْ مراقبة الله على الدوام، حتى توفق في مساعيك، وتزول الشدائد ، وتلذ المصاعب، والله ولي التوفيق .

ولقد رأينا عددا من مشايخنا مُكبين على العلم والتصنيف في مكتباتهم الساعاتِ الطوال ، وبعضُهم يدرس من الصباح إلى المساء لا يكاد ينقطع إلا نزرًا يسيرًا ، وهو في أتم صحة وسعادة ، امتزج حب العلم بدمهم وعصبهم، **وكما قال الالبيري رحمه الله :**

فَلَو قَد ذُقتَ مِن حَلواهُ طَعمًا ** لَآثَرتَ التَعَلُّمَ وَاجتَهَدتا

وَلَم يَشغَلْكَ عَنهُ هَوىً مُطاعٌ ** وَلا دُنيا بِزُخرُفِها فُتِنتا

والله الموفق .

******

٩٠/ أيوبُ وكثرة الكلام ..!

ما ابتُلينا وابتلي طلابُ العلم هذه الأيام بشيء ككثرة الكلام ، والمجادلات والمصنفات والتحاجح، في مقابل قلة العمل، وضعف الاقتداء، وحسن السمت والهدي...! ومعلوم أن العلم ثمرته العمل، ونهايته التطبيق ، وعصارته التأسي (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) سورة الأحزاب .

فلا بدَّ لهذه الأسوة أن تشرقَ في الناس، وتبثَ السنن، وتوضحَ الهدي عملًا واتباعا وليس صوتًا وجعجعة..!

قال حمادُ بن زيد رحمه الله :" قيل لأيوب السختياني :العلمُ اليوم أكثر أم أقل ؟!

فقال أيوب :(الكلامُ اليومَ أكثر والعلمُ كان قبل اليوم أكثر) ".

وهو يأسى هنا على وضعٍ جديد حل فيهم، غلب فيه الكلام، ويتأسف على عصر السلف الذهبي، الذي غلب فيه العمل ورسخ، فكانوا مصابيح بفعالهم وليس بأصواتهم وتوجيهاتهم..!

فكيف يقال في عصرنا الذي قلّ فيه العاملون، وتراجع المهتدون، وعز المتنافسون ، وصار ديدنُ طلاب العلم الردود والتراشق اللفظي ، وكثرة التأليف ، دون عملٍ وبدارٍ ومسابقة ..!

ولذلك من أهمِّ ما يوصى به طلابُ العلم ، العمل قبل الكلام، والاتباع قبل الهذيان والضجيج..!

وليكن عملُنا تبعا لقولنا، وأن لا يطولَ الفصل بينهما ، فنُتهم، وينقطع الخير والاقتداء، والله المستعان .

******

٩١/ الذهبي والعلم للآخرة..!

دائمًا ما تنعكسُ حسنُ النية ، وصفاء القصدِ على سلوك المرء، فيصلُح ويراجعُ ويدقق، يقول الإمامُ الذهبي رحمه الله :(فَإنّ من طلب العلمَ للآخرة : كسرَه علمُه ، وخشع قلبُه ، واستكانَت نفسُه ، وكان على نَفسِه بالمرصاد).

والعلمُ للآخرة يعني ابتغاءَ مرضاة الله، وصفاء النية، والتواضع فيه، والطموح في الثواب ، والتباعد عن كل صور الرياء .

ولذلك نيتُه الصالحة تقوّمُ سلوكَه ، فيردعه علمُه إذا تجاوز ، ويخشعُ قلبُه إذا وعظ، وتسكنُ نفسه إذا استمع وتحدث .. وكان علمُه خيرَ رقيب عليه، وأشدَّ حسيبٍ وراءه ، بالمرصاد يدقق فعالَه، ويكشفُ خِلالَه، ويصححُ خصالَه..!

والسببُ لأنه وقرَ في القلب، وصحّ به القصد، وابتُغي به وجه الله ، فلا يزال يعظه وينصحه ، وينفضه ويزجره ، من خلال محفوظاته البينة، وأدلته الطيبة من الوحيين ، وتجارب الصالحين ، ومواعظ الربانيين .

ومن جميل ذلك وشبيهه ،،قول الإمام مجاهد رحمه الله : في قوله: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)، هو الرجل يهم بالذنب، فيذكر مقام ربه فينزع .

ولا تزالُ النصوص زاجرةً للطالب المخلص الأواب ، المتطلع لما عند الله تعالى .

******

٩٢/ الشافعي وزينة العلم..!

ليس العلمُ جمعًا واستكثارا بدون خلق وشمائل ، وليس هو مصنفات والنفسُ متباعدة جافية ، كلا..! بل هو علمٌ وخلق، وفقهٌ وأدب..!

يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (زينةُ العلم : الورعُ والحلم).

إذ الورع يمنعه من استرخاص العلم وبيعه في سوق المزايدات، أو التهتك به والتلاعب والشراء به ثمنًا قليلا ، والحلمُ يجعله يوصله إلى الناس برفق وتؤدة، فلا يصرخ ولا يعنّف ، ولا يسيء أو يجهل..!

قال تعالى : (ودوا لو تدهن فيدهنون) سورة القلم . وقال سبحانه : (وأعرض عن الجاهلين) سورة الأعراف .

وهاتانِ الخصلتانِ مهمتانِ لطالب العلم، فهو بلا ورع متطاولٌ متجاسر، وبلا حلمٍ غضوبٌ جافٍ، وكلتاهما مضرتانِ بالعلم وبلاغه، وبالفقه ونشره .

ولذلك على الطالب أخلاقٌ وزينة، وآداب وحلية ، من لم يتقلدها، أضاع وضيع، وفسد وأفسد ..والله المستعان .

******

٩٣/ يحي القطان والجهاد اليومي..!

بعضُ الطلاب إذا سُئل كم تقرأ ..؟ قال: ساعتان ، وبعضُهم ثلاث، وآخر ، يحضر درسًا في الأسبوع، ويرى فيه الكفاية والدراية .

فاسمعْ ما يقوله الإمامُ يحي بن سعيد القطان رحمه الله :(كُنْتُ أَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ قَبْلَ الْغَدَاةِ فَلَا أَرْجِعُ إِلَى الْعَتَمَة).

والمعنى يومٌ كامل تقريبا ، للتحصيل والطلب ، وساعات طوال للجد والقراءة ، وزمان شاق في الجمع والبحث عن المشيخة .

فكيفَ هو حالُك يا طالب العلم : كم تقرأ ، وكم تمنح العلم ساعاتٍ من حياتك ؟ وكيف أنت وجمع تلك الدرر العلمية ، وقد سمعتَ بفضلها..؟!

من المؤسف أن ملاذَ الدنيا وتوسعنا فيها ، حُرمنا كثيرا من لذائذِ العلم وكنوزه ..!

فأعطوا العلم قدره ووقته ليعطكم بعضه وكنزه ودرره. وبعضهم يشتكي من قصور علمي ويتمنى ويتمنى ، وإذا دققت في وقته وسخائه على العلم وجدت هوانًا وتقصيرًا مبينًا ، والله المستعان .

علينا تغييرُ عاداتنا، ومراجعةُ نفوسنا ، وتجديدُ علاقتنا بالعلم ومنافذه، وأن نحياه عقيدةً وصدقًا واحتسابا .

ولندرك أن حاجتنا إليه أشدّ من حاجة الهواء والماء، والله ولي التوفيق .

******

٩٤/ الثوري والأدبُ قبل الطلب..!

هنالكَ مقدماتٌ يحتاجها الطالبُ في طريقه العلمي، من صفات وخصال، تُهذّبه وتَصقُل روحه ، فيتعلم فنون الأدب ، ويتعرف على سنن ومستحبات تُعينه وتسهل عليه.. يقول سفيان الثوري رحمه اللهُ عن منهج الأسلاف في ذلك :(كانوا لا يُخرجون أبناءهم لطلب العلم ، حتى يتأدبوا ويتعبدوا عشرين سنة).

فتعلم الأدب والتعبد أولا ، ثم سر في طريقك ، وانهج سبيلك، لأن الأدب مفتاح الفهم والفائدة ، والتعبد زاد الطريق، ووقود السفر والاحتمال .

قال تعالى :(وإنك لعلى خلق عظيم) سورة القلم .

وقال في الحديث عليه الصلاة والسلام :(أفلا أكون عبدا شكورا). ووصفته عائشة رضي الله عنها" كان يذكر الله على كل أحيانه).

ولوحظ المحرومُ من الأدب ، أن فيه خشونةً وعنفًا، والبعيد عن العبادة فيه تجاسر واستضعفاف ، ولذلك كان الأدب حليةً، والعبادة قيدًا ، تصون من الضياع والاضطراب ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

******

٩٥/ الزهري وغوائل العلم..!

للعلم غوائلُ، أي شروره ومصائبه، التي تضعفه، وتذهب بهيبته، وتكونُ سببا في فقدان بركته وثماره..!

يقول العلامة ابن شهاب الزهري رحمه الله:(إنَّ للعلم غوائل ، فمن غوائله أن يترك العمل به حتى يذهب ، ومن غوائله النسيان ومن غوائله الكذب ، وهو شر غوائله).

وأولاها هنا : تركُ العمل به، وحفظهُ بلا تطبيق، ومدارسته بلا اقتداء، وقد قال تعالى:(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) سورة البقرة.

وثانيها : النسيان، والذي سببه المعاصي ، وتركُ المذاكرة ، والهجران الطويل ، وترك تزكيته، ومجالسة السفهاء ، ووضعه في غير أهله..!

وثالثها : الكذبُ سواء كانت فيه أو في غيره، والأولى أقبح، إذ كيف يُذكر علم مكذوب ، وأحاديثُ مفتراة، ومواعظ مبدلة، والثانية كذب مفتعل، وخصلة ذميمة ، وذنب سينتزع بركة العلم ويذهب حلاوته ووقاره، والله المستعان .

فحاذروا يا شباب غوائل العلم، وشرور الطلب، وقد ذُكر أكثرها في كتب الطلب المعروفة ، والله الموفق .

******

٩٦/ أبو داودَ والأكمامُ الواسعة ..!

حبُّ العلم والشغفُ به وبكتبه قصةٌ عجيبة في حياة أسلافنا رحمهم اللهُ ، يقول أبو بكر ابنُ دَاسّه رحمه الله تعالى : " كان لأبي داود رحمه الله كُمٌّ وَاسِعٌ وَكُمٌّ ضَيِّقٌ، فقيل له في ذلك فقال: الواسِعُ لِلكُتبِ، والآخَرُ لا يُحتَاجُ إِلَيه ".

والمعنى حملُ الكتب في الأسفارِ والرحلة وقضاء الحوائج ، لأنها محتاج إليها للقراءة والمذاكرة ، فيحملها ذكرًا وفائدة ، حتى ولو شقت وأتعبت ، ولكن لا غنى عنها، وهو يراها كالنقود في حياتنا، وكالجوالات في سلوكنا..!

فقد صار أكثرنا لا يمكن له العيشُ بدون جوال، ولكنه يستثقل الكتب، فيأتي الجامعات والمساجد، خاوي اليدين، بلا همٍّ ولا اهتمام ، فيخرج بلا ثمار ، متصلبَ الإرادة ، قليلَ الفقه، صعبَ الاستيعاب ...!

والسبب التقصير في آلة العلم، والاستهانة بآثارها ، وأحيانا الاكتفاء بوجودها في المواقع، فينشأ بعيدًا عن الكتب وصفاتها مؤلفيها وأساليبها ، فتستعجمُ معه الحياةُ العلمية ، وتصبحُ بعيدةَ المنال، والله المستعان .

******

٩٧/ ابنُ عطية وتكرار البخاري ..!

لا يَنتجُ النبوغُ العلمي إلا بالتكرار ، ولا يتم الوعيُ إلا بالمعاودة، ولا يُحصّل الرسوخ ، ما لم يكن هنالك عكوفٌ ووقوف ، تطولُ مدتُه، وتعظمُ هيبتُه، إذ ليس العلم كوبا يشرب، ولا وعاء يُرشف، بل صبرٌ ومعاهدة، وتأملٌ ومدارسة . (خذوا ما آتيناكم بقوة). ولذلك نبغَ من قبلنا بفضل طول القراءة وديمة التكرار.

يقول ابن بَشكوال رحمه الله : " قرأت بخط بعض أصحابنا أنه سمع أبا بكر بن عطية - رحمه الله-يذكر أنه كرر صحيح البخاري ٧٠٠ مرة " .

فالـذي لـم يُفلـح مـع متـون صـغيرة، أو كتـب بسـيطة، فـاعلم أن السبب تركُ القراءة ، والاكتفاء بمرة واحدة ..! وأيمُ الله لو كررنـا كمـا كـرر السـلف، وجـد أربـابً التحـف ، لتغيـر حالنـا، ولرأيـت صـورًا مـن النبـوغ النـادرة، والتفـوق العجيـب... ولكننـا قـوم مسـتعجلون.. نريـدُ العلـمَ في أسـبوع وشـهر، وحفظـه في سـنة وسـنتين، والإمامـة فيـه بمرحلـة جامعيـة أو شـهادة دكتـوراه...!

كلا..!

مـا هكـذا تُطـرق العلـوم، ولا تسـتطاب الفهـوم، ولا تُرتقـى المعالي...؟!

بل لابد من صبر متين، وانتظار مديد ، ومقدمات طويلات، يُجمع العلم فيها بمراحل وآداب، وطرائق واحتساب ، والمهم أن لا تتعب ولا تيأس، والله الموفق .

******

٩٨/ أبو عاصم وخيريةُ أهلِ الحديث..!

طلابُ العلم، لا سيما أهل الحديث محلُّ أنظار الناس وملحوظاتهم، لأنهم أتباع رسول الله، وجمّاع سنته، والدالون عليها، لذا فليحذروا الخلاف والتبديل ..!

يقولُ أبو عاصم الضحاك بن مخلد رحمه الله:(مَنْ طَلَبَ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَدْ طَلَبَ أَعْلَى أُمُورِ الدُّنْيَا، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ النَّاس).

فهم في أعلا المراتب ، وأرقى المعالي ، والناس يحفلون بهم ويحتفون، ولذلك إذا طلبوا الحديث تعين عليهم تطبيقه، والدعوة إليه، وأن يكونوا قدوات مضيئة، ومصابيح نيرة .

فتكـون أخلاقهـم عاليـة، وخصـالهم راقيـة، وتعـاملهم لطيفـا، وكلامهم رقيقًا ، يألفون ويؤلفون ، ويحسنون ولا يؤذون ، وتلك أخـلاقُ سـيدهم رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، كـان أحسـنَ النـاس خلقًـا ، وأطيـبهم كلامًـا ، وأصـدقهم تعـاملًا ، قـال تعـالى:

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) سورة الأحزاب .

وقال سبحانه :(وإنك لعلى خلق عظيم) سورة القلم .

جاء في الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ

مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ : مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ.

إذن فلنتعلم من هديه وسنته عليه الصلاة والسلام، فهي منهج أخلاقي في التعامل والسلوك ، والله الموفق .

******

٩٩/ أبو الدرداء والفتح العلمي...!

للعملِ بالعلم بركاتٌ تُدرك مع الوقت، ويستشعرُها الربانيون الصادقون، ومن أشهرها فتوحاتٌ في العلم، وتوفيقٌ مكنوز ، وإلهام وتسديد

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه :(مَنْ عَمِلَ بِعُشْرِ مَا يَعْلَمُ ، عَلَّمَهُ اللهُ مَا يَجْهَلُ).

ويروى مرفوعًا ولا يصح (من عمل بما علم ، ورّثه الله تعالى علمَ ما لم يعمل).

ونحوه عن ابن عباس والحسن رضي الله عنهما .

والمقصدُ أن بركةَ العلم سابغة تتجاوز الحدود ، فلا تتهاون بالسنن، ولا المستحبات ، وكن مواظبا على الشرائع ، مبادرا إلى الفضائل، مستشعرا فضل الله عليك، أن هداك للعلم والعمل، وحسن الأسوة.وفي الحديث القدسي (وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أفضل من أداء ما افترضتُ عليْهِ، وما يزالُ يتقرَّبُ عبدي إليَّ بالنَّوافلِ حتَّى أُحبَّهُ..).

وكما أن مزيد العلم يحصّل بالقراءة والدروس، فكذلك يحصل بالبدار العملي، والامتثال السني ، الذي يصنع منك محبًا للسنن، حريصا على الآثار ، مبادرا إلى الهدي الثابت ، قال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) سورة العنكبوت . وقال

سبحانه : (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) سورة محمد .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

******

١٠٠/ الفضيل وشرف العمل والتعليم ..!

ما طابَ جمّاعو العلم وحفاظُه بمثل امتثاله وتعليمه الناس، وبثِّه في الخلائق ، إذ ثمرةُ العلم العمل والنشر، والدعوة والبلاغ، والقدوة والانتفاع ، قال الفُضيل بن عياض رحمه الله : (عالمٌ ، عاملٌ معلم ، يُدعى كبيراً في ملكوت السموات).

يقصد الثناء العلوي، والفضل الإلهي ، واستغفار الكائنات ، والأصلُ في ذلك حديث الترمذي الصحيح (إنَّ اللهَ وملائكته وأهل السموات والأرضين ، حتى النملةَ في جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير) .

وهذه منازلُ العلماء العاملين المعلمين ، الذين ملأوا حياتهم علما وعملًا ، وجعلهم اللهُ مباركين في الناس ، بحيث كلُّ علمهم مبذول ، وفقههم منقول، وتدريسهم مشهور، أسبقُ الناس إلى السنن، وأسرُعهم بدارا وامتثالًا، قدواتٌ مباركة ، وألسنٌ محبوبةٌ فاعلة .

وفقنا اللهُ وإياكم لما يحبه ويرضاه ...

تمّت المواقف العلمية للأعلام العلية ، نفعنا اللّه وإياكم بما نقول ونسمع ، إنه جواد كريم .

فهرس الموضوعات

تقديم ١
١/ عاشق المحبرة..! ٤
٢/ ابن تيمية والاستشفاء العلمي..! ٦
٣/ ابن المبارك والسيادة..! ٩
٤/ السُلمي والأربعون ..! ١٢
٥/ ابن الجوزي والكنز ..! ١٥
٦/ ابن عقيل والساعات الضائعة ..! ١٨
٧/ سفيان وتصحيح النية..! ٢١
٨/ الحسن وثـمرة التقوى..! ٢٣
٩/ مالك وقداسة العلماء..! ٢٦
١٠/ ابن دينار ومفتاح التأثير..! ٢٩
١٢/ ابن المسيب وشرف الفائدة..! ٣٢
١٣/ الفُضيل وكبير القدر..! ٣٤
١٤/ الزهري وموضع النجاة ..! ٣٦
١٥/ الصديق وفقه الكلام..! ٣٨
١٦/ ربيعة ومستودع الفضائل ..! ٤٠
١٧/ الشعبي وأصول النبوغ ..! ٤٢

١٨/ عطاء ولطف الحوار..! ٤٤
١٩/ ابن أبي كثير والطالب المترَف..! ٤٦
٢٠/ الخليل ومعرفة الصواب...! ٤٨
٢١/ البخاري ودواء النسيان..! ٥٠
٢٢/ وهيب والمسابقة..! ٥٢
٢٣/ الاوزاعي والإصلاح السني..! ٥٤
٢٤/ ابن القيم وجناحا المؤمن..! ٥٦
٢٥/ أبو حنيفة والمذهب والدليل...! ٥٨
٢٦/ الشافعي وأثر العلوم ..! ٦٠
٢٧/ ابن عباس والذل العلمي..! ٦٣
٢٨/ ابن خزيمة والحجة القاطعة..! ٦٥
٢٩/ ابن المبارك وفقه العمل..! ٦٧
٣٠/ أبو دَاوُدَ والشهوة الخفية..! ٦٨
٣١/ أبنُ العلاء ومقام السابقين..! ٦٩
٣٢/ أبن المبارك والاستدامة العلمية..! ٧١
٣٣/ ابن مسعود والنهج المعتدل..! ٧٣
٣٤/ أحمدُ والشباب...! ٧٥
٣٥/ البزارُ وتذليل المنابر..! ٧٧
٣٦/ ابنُ مسعود ونسيان العلم..! ٧٩

٣٧/ أبو الدرداء وعلمٌ بلا عمل..! ٨١
٣٨/ الشافعي وعضدُ العلماء..! ٨٣
٣٩/ ابنُ عيينة والتزودُ الدائم..! ٨٦
٤٠/ الثوري وكيفيةُ حكّ الرأس..! ٨٨
٤١/ ابنُ جبير وهلاكُ الناس..! ٩٠
٤٢/ ابنُ المبارك ونشرُ العلم..! ٩٣
٤٢/ أحمدُ واقتضاءُ العلمِ العمل ..! ٩٥
٤٣/ الزهري والتدرجُ العلمي..! ٩٧
٤٤/ ابن ابي ليلى وافتاء الصحابة ..! ٩٩
٤٥/ ابنُ سيرينَ وتعلمُ الهدي ..! ١٠١
٤٦/ الحسنُ وحليةُ الطالب..! ١٠٤
٤٧/ مطرف وفقه المفاضلة ..! ١٠٦
٤٨/ ابنُ عباس والأمانُ من الضلال..! ١٠٨
٤٩/ ابنُ عساكر واللحومُ المسمومة..! ١١٠
٥٠/ ابنُ القيم وبلوغ النعيم..! ١١٢
٥١/ النوويُ وفُرصُ الحذاق..! ١١٤
٥٢/ أبو الحسنِ والعالمُ المُتهتّك ..! ١١٧
٥٣/ ابنُ عيينة ومغارم العلم..! ١١٩
٥٤/ مالك ولا أدري..! ١٢١

٥٦/ ابن المبارك والمالُ الاستراتيجي..! ١٢٦
٥٧/ مالكٌ والشهادةُ قبل التصدر..! ١٢٨
٥٨/ أيوب والجهد البدعي..! ١٣٠
٥٩/ الحَسنُ واستعفافُ العالم..! ١٣٢
٦٠/ ابنُ تيميةَ والعسكرُ الذي لا يُغلب..! ١٣٤
٦١/ مجاهدٌ والالتصاق بالشيخ..! ١٣٦
٦٣/ الذهبي والمسافةُ بين الذكاء والزكاء..! ١٤١
٦٤/ حُذيفة ونفاقُ الداعية..! ١٤٣
٦٥/ الفُضيلُ والتكبيل السلوكي..! ١٤٥
٦٦/ الثوري وفتنةُ العابد الجاهل..! ١٤٧
٦٧/ الشافعي والتبجيلُ العلمي..! ١٤٩
٦٨/ ابنُ مسعود والفتوى المجنونة..! ١٥١
٦٩/ الحسنُ وليلُ الطلاب..! ١٥٤
٧٠/ ابو حاتم والحُسْنُ العلمي..! ١٥٧
٧١/ الأوزاعي وآثارُ السلف..! ١٥٩
٧٢/ ابن معين وطوقُ العلم..! ١٦١
٧٣/ الشافعي وإصابةُ أهل الحديث ..! ١٦٣
٧٤/ أبو الدرداء وبركُ الغماد : ١٦٥
٧٥/ ابنُ خلدون وتكوينُ الملكات : ١٦٧

٧٦/ ابنُ المبارك وتعليم الناس..! ١٦٩
٧٧/ الطبراني ونومُ البواري..! ١٧١
٧٨/ اللؤلؤي وملازمة الكتب ...! ١٧٤
٧٩/ ابنُ حبان والألفا شيخ..! ١٧٦
٨٠/ الأوزاعي والتعويلُ على الكتب..! ١٧٩
٨١/ وكيعٌ وحسناتُ التحديث ..! ١٨١
٨٢/ عمرُ بن عبد العزيز ومقام السُنة ..! ١٨٤
٨٣/ أبو حنيفةَ ووفاءُ التلاميذ ..! ١٨٦
٨٤/ الخطيبُ والتميز بالعمل ..! ١٨٨
مواقف علمية (٢) ١٩٠
٨٥/ مالك بن دينار والعالم الحليم ..! ١٩٠
٨٦/ ابنُ مسعود والحديثُ المعقول ...! ١٩٢
٨٧/ الشافعي والأدب مع الشيخ..! ١٩٤
٨٨/ مالكٌ ووصفا طالب العلم..! ١٩٦
٨٩/ ابن الجوزي وذواقُ العسل...! ١٩٩
٩٠/ أيوبُ وكثرة الكلام ..! ٢٠١
٩٢/ الشافعي وزينة العلم..! ٢٠٥
٩٣/ يحي القطان والجهاد اليومي..! ٢٠٧
٩٤/ الثوري والأدبُ قبل الطلب..! ٢٠٩

٩٥/ الزهري وغوائل العلم..! ٢١١
٩٦/ أبو داودَ والأكمامُ الواسعة ..! ٢١٣
٩٧/ ابنُ عطية وتكرار البخاري ..! ٢١٥
٩٨/ أبو عاصم وخيريةُ أهلِ الحديث..! ٢١٨
٩٩/ أبو الدرداء والفتح العلمي...! ٢٢١
١٠٠/ الفضيل وشرف العمل والتعليم ..! ٢٢٤